دولة الإمارات العربية المتحدة
دبي

مجلة كلية
الدراسات الإسلامية والعربية

مجلة علمية محكّمة

العدد الخامس والثلاثون
جمادى الآخر ١٤٢٩ هـ - يونيو ٢٠٠٨م

المحتويـــــــات

- **الافتتاحية**

رئيس التحرير ١٣-١٤

- **منهج السنة النبوية في ترشيد الإنفاق والاستهلاك**

أ. د. نور الدين عباسي ١٧-٦٢

- **الحوار في ضوء السنة النبوية ضوابط وتوجيهات**

د. الشريف ولد أحمد محمود ٦٣-١١٢

- **الموقف الفقهي من إصدار الأسهم وتداولها**

د. أحمد عبد الحي محمد ١١٣-١٧٠

- **ميراث المرأة في الإسلام ودحض شبهة الاستشراق**

د. يوسف حسين أحمد ١٧١-٢١٤

- **نماذج من اختيارات الباجي في أحكام الفصول**

د. خالد وزاني ٢١٥-٢٤٦

- **التلوث الصوتي في ميزان الإسلام**

د. قطب الريسوني ٢٤٧-٢٨٠

- **إعراب القاري على أوّل بابٍ في صحيح البخاري**
لأبي الحسن نور الدّين عليّ بن سُلطان محمّد القاري
(ت ١٠١٤ هـ) دراسة و تحقيق

د. عبد الكريم مصطفى مدلج ٢٨١-٣١٨

- **الصورة المثلى لقارئ البلاغة بين النظرية النقدية الحديثة**
وعبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز

د. الرفاعي عبد الحافظ ٣١٩-٣٨٤

- **مكانة الموهبة المبدعة في النقد القديم عند العرب**
دراسة في جماليات الموهبة المبدعة

د. طاهر عبد الرحمن قحطان ٥٨٣-٨٠٤

- **مشيخة العرب و السياسة العثمانية ببايلك قسنطينة**

د. جميلة معاش ٤١١-٤٤٣

الحوار في ضوء السنة النبوية
ضوابط وتوجيهات

د. الشريف ولد أحمد محمود *

* أستاذ النحو والصرف المساعد - كلية الدراسات الإسلامية والعربية - دبي

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

أصبح الحوار ضرورة لا غنى عنها في عصرنا الحاضر، الذي تقاربت فيه المسافات وتداخلت المصالح، وكثرت التكتلات والأحلاف والمعاهدات، وانتشرت ثقافة التعاون والتعاضد بين الشعوب والأجناس، ونُبذت ثقافة التفرقة والخلاف، وأصبح المصلحون من الناس يُشيعون ثقافة الحوار مع الآخر مهما تباينت الآراء، واختلفت الديانات، ويبحثون عن القيم الروحية المشتركة في تراث الحضارات والثقافات الإنسانية كي تسود البشريةَ قيمُ السماحة والتراحم والتعايش السلمي بين بني البشر.

وثقافة الإنصاف والتسامح أصيلة وقديمة في شرع الله، حتى في أشد الأحوال حين يواجَه العبد بالقتل، فإن المسلم يُدين جريمة التقاتل ولو همَّ الآخرُ بقتله، ذلك ما ورد في القرآن الكريم حكاية عن هابيل لما أراد أخوه قابيل قتله حسدا على أن تقبّل الله من هابيل، ولم يتقبل من قابيل قربانه، فقال الله في ذلك: ﴿**لئن بسطتَ إليَّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يديّ إليك لأقتلك إني أخاف الله ربَّ العالمين**﴾.

أما الشريعة الإسلامية فقد رسّخت ثقافة الحوار، ودعت إلى الحوار مع الآخر المختلف، تمثل ذلك في دعوة القرآن إلى التلطّف والليونة مع الخصم ولو كان من ألدّ الأعداء تعنّتا وتجبّرا، وهم قريش الذين آذوه وقاتلوه وأخرجوه من داره وبلده، فأُمر بدعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة ومجادلتهم باللتي هي أحسن.

ويهدف هذا البحث إلى توضيح ضوابط الحوار في السنة النبوية من خلال استقراء حواراته ﷺ مع المسلمين وغير المسلمين من أهل الكتاب والمشركين. كما حاولنا من خلال هذه الحوارات التعرّف على السمات البارزة للحوارات النبوية ورسم أهدافها ومنطلقاتها وأساليبها ودوافعها... إلخ

كما بينا نهج الصحابة والسلف الصالح في الحوار، مبرزين دورهم في الدعوة إلى الإسلام بسلوكهم وحسن سيرتهم، واتّصافهم في حواراتهم بالإنصاف الذي هو من شيم الأشراف، فكانوا بذلك خير خلَف لخير سلَف.

خطة البحث

١ - مقدمة.

٢ - الحوار أسبابه ودوافعه.

٢ -١- الحوار في الاصطلاح .

٢ -٢- أسباب الاختلاف.

٢ -٣- دواعي الاختلاف.

٢ -٤- أصول الحوار في الكتاب والسنة.

٣ - الحوار: ضوابطه وأسسه.

٣ -١- الحوار والمصطلحات المشابهة.

٣ -٢- ضوابط الحوار.

٤ - أدب الحوار في السنة النبوية.

٤ -١- مراعاة حال الآخر.

٤ -٢- انتقاء الألفاظ المناسبة في الحوار.

٤ -٣- الإنصات.

٥ - أدب الحوار عند الصحابة ومن بعدهم.

٥ -١- عند الصحابة.

٥ -٢- عنْد مَن بعد الصحابة.

٦ - خاتمة.

٧ - قائمة المصادر والمراجع.

١ - مقدمـــــة

للسنة النبوية آداب في التخاطب مع الآخر، تنطلق من مبدأ معرفة حقِّ الآخر وإنصافه واعتباره نِدًّا ونظيرًا، لا مُريدًا خانعًا يستجْديك ويستَعطفك أن تمنح له حقَّ الردِّ كأن الحق حكرٌ عليك.

وقد وضعت السنة النبوية آدابًا ورسمت طريقًا للتخاطب مع الآخر يعطي المتحاورين حقوقًا متساوية.

ووضَعتْ أسسًا للحوار من أجل تحقيق الغايات والوصول إلى المرامي التي شُرِع من أجلها.

فالحوار - كما هو معلوم - يهدف إلى التعايش السلمي على الصعيد المحلِّي والقومي والعالمي، والإسلام هدفه السَّلام وتحيَّته السَّلام ودعوته للسلام. والآيات القرآنية والأحاديث النبوية تؤكد هذه الحقيقة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَافَّةً**﴾[١]. ﴿**وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا**﴾[٢]. وفي الحديث الصحيح: (المسلم مَن سلم المسلمون من لسانه ويده)[٣] وقد روي في صحيح مسلم: (اللهم أنت السلام ومنك السلام تَباركتَ يا ذا الجلال والإكرام) [٤] وفي رواية: "وإليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا الجنة دارك دار السلام". والحوار هو الوسيلة الوحيدة لمعرفة الآخر، وما ينطوي عليه من خير وما يكمن فيه من شر، فإن حاورت الآخر عرفتَ مواطن قوته ومَكامن ضعفه وأمنتَ شره. ولا وسيلة أنجع في حل النزاعات وطي الخلافات من الحوار الهادئ.

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢٠٨).

(٢) سورة الأنفال، الآية (٦١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، حديث رقم: ١٠ ١٣/١.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، حديث رقم: ٥٩١ مسلم، ج ١ ص٤١٤.

وقد عرف الإسلام فائدة الحوار، وحقق بوساطته انتصارات على مَمرِّ العصور. فحين كانَتْ هدنة الحديبية، وعقد النبي ﷺ صلحًا مع قريش، كان ظاهره الشدة على المسلمين، لكنَّ حقيقةَ الصلح كانت تحمل في طياتها بذور النصر، فكان أشد بنود الاتفاق – والذي اعترض عليه بعض الصحابة كعمر بن الخطاب بقوله يا رسول الله أنعطي الدنية في ديننا بعد أن أعزنا الله بالإسلام – أنه من جاء من المسلمين فارًا إلى قريش يلزمهم ردُّه إليهم ومن جاء من المشركين للمسلمين فليس لهم عليه سلطة. فأتاح هذا الانفتاح بين الطرفين فُرَص اللقاء وأمن كل من الجانبين من كيد الآخر بسبب الاتفاق على الأمان بينهما، فكانت الحصيلة أنَّه دخل في الإسلام في هذه السنة أكثر ممن كان أسلم من بداية البعثة النبوية. وكان النبي ﷺ حين خرج يودع معاذ بن جبل حين أوفده إلى اليمن اختبره بقوله: كيف تحكم إن عرض لك قضاء فقال بكتاب الله قال فإن لم تجد قال فبسنة رسول الله قال فإن لم تجد قال أجتهد رأيي ولا آلو فقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يحبه الله ويرضاه(٥).

وحوار ابن عباس حين أرسله علي بن أبي طالب للتفاوض مع فرقة الحرورية من الخوارج شهير وكان من نتائجه رجوع آلاف من هذه الفرقة إلى الصواب والرشد.

وفي عصرنا الحاضر كانت الحاجة إلى الحوار أكثر ودواعيه أوفر، إذ غدا العالم تكتلات سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية بل وأمنية، وبات العالم يحكمه نظام القوة ومنطق الحوار، وغدا الضعيف والمعزول لا حظ لهما ولا وزن.

وقد نُظمت الندوات وعقدت المؤتمرات برعاية المنظمات الدولية والإقليمية لترسيخ ثقافة الحوار بين شعوب العالم ووضعتْ البرامج والخطط التي تهدف إلى جعل الحوار أسلوبًا للتواصل مع العالم تحقيقًا لمصالح التعايش وتبادل المنافع ودفع المضارّ.

والحوار لا يعني الذوبان أو الانمحاء بل يعني التعدد والتلون والاختلاف، لكنه اختلاف تلوُّنٍ لا اختلاف تصادم، اختلاف يتسامى على النزعات العرقية والطائفية، بل والعَقَدية، ويخدم المصلحة البشريةً ويجعل ثقافات الشعوب وحضارات الأمم تنصهر في ثقافة واحدة يجد فيها الضعيف والفقير – كما القوي – مكانته ومساحته.

(٥) أخرجه أبو داود كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، حديث رقم: ٣٥٩٢، ٣/٣٠٣.

وفي ظل ظاهرة العولمة صار العالم أحوج ما يكون لهذا الحوار، فإن الثقافات الضعيفة، والشعوب القليلة أو الفقيرة لا يحميها إلا هذا التكتل الذي يتخذ من الحوار البنّاء أسلوبًا للتواصل مع الآخر.

والعالم الإسلامي اليوم - بعد ٢٠٠١م - هو أحوج الشعوب للتكتل ونشر ثقافة الحوار.

فيجب تفعيل وتنشيط كل قوى العالم الإسلامي، وتسخير كل الطاقات البشرية بدءًا من الأسرة فالقبيلة فالشعب، والمؤسسات الثقافية والاجتماعية والدينية كالمدرسة والجامعة والمسجد والنادي، ووسائل الإعلام المرئية والمسموعة ليكون الحوار شعارًا لأمتنا وثقافة تسري روحًا وحقيقة في كل المؤسسات الشعبية والرسمية.

فإذا استطعنا أن نقيم جسورًا للتواصل بواسطة الحوار البنّاء الهادف، فإننا سنكون قد حسرنا مظاهر الخلاف بيننا وردمنا الهوة الحائلة بين تواصلنا واستطعنا أن نجعل من أنفسنا قوة قادرة على تخطي الخلافات ونبذ الصراعات، وأمكننا أن ننهض بحياتنا على كافة المستويات الثقافية والمادية والاجتماعية. فالبناء لا يكون إلا في ظل الاستقرار، ولا استقرار دون الحوار.

إذا نحن بنينا قوتنا من الداخل وكنا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، استطعنا محاورة الآخر من منطلق قوة وبمنطق النظير والندِّ، وفرضنا رأينا بكل عِزَّة، وإن كانتْ الأخرى بقينا نستصرخ المنظمات الدولية أن تتصدق علينا وتشفع لنا عند سادتها لننتزع أبسط حقوقنا في شكل هبات وصدقات في سوقٍ عالمية أُمَمِيّة غدتْ فيه الحقوق المكتسبة تباع بالتقسيط تحت مظلة الشرعية الدولية وحقوق الإنسان، في الوقت الذي ترفع فيه شعاراتٌ لحماية الحيوانات وضمان حقوقها، بل وللمحافظة على البيئة وسلامتها.

فأنَّى ينتظر حقوق للحيوان والبيئة، والإنسان لا يتمتع بأدنى حقوقه !؟ تلك فِرْيَةٌ تنعق بها المنظمات الدولية، والمنخدع بها كحال: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا**﴾(٦).

(٦) سورة النور، الآية (٣٩).

٢ - الحوار أسبابه ودوافعه

٢ -١- الحوار في الاصطلاح :

عند الرجوع إلى المعاجم وكتب المصطلحات والتعريفات، نجد مصطلحات متقاربة في المعنى والدلالة، مع فرق يتباين أو يتقارب حسب دلالات هذه المصطلحات في اللغة والمجاز، وما حظيت به من دراسة واشتقاق من طرف علماء اللغة والفنون الذين تناولوها في سياقات مختلفة.

فنجد الحوار والجدال والنقاش والمناظرة والمحاجّة ... الخ.

والحوار المراجعةُ في الكلام، وكذا التحاور[٧] ومنه قوله تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا**﴾[٨].

والحوار: المراجعة بين اثنين أو أكثر، اختلفا في وجهة النظر أيًّا كان الداعي لمحاورتهما، والحوار هو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، لا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء، والبعد عن الخصومة والتَّعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر[٩].

والحوار ضرورة بشرية يرمي من ورائها المتحاوران إلى تبادل الآراء ومطارحة الأفكار لردم الهوة بقصد التوصل إلى اتفاق أو تقارب يرضي الطرفين. والحوار نشاط يومي نمارسه في مختلف بيئاتنا؛ في المنزل والمدرسة والمسجد والعمل والسوق، وفي وسائل الإعلام والنوادي وقاعات المحاضرات والمؤتمرات وبقدر ما تراعى ضوابطه وأخلاقياته يكون وسيلة بناءة وعامل رقي وازدهار، وبقدر ما يكون سلبيًا يكون معول هدم لكيان الفرد والجماعة[١٠].

---

(٧) الحوار النبوي مع المسلمين وغير المسلمين: د. سعيد إسماعيل صيني ص١.

(٨) سورة المجادلة، الآية(١).

(٩) راجع الحوار الإسلامي النصراني ص٢٠ والمعجم الفلسفي لجميل صليبا ٥٠١/١.

(١٠) يرجع في تعريف الحوار لغة واصطلاحًا إلى لسان العرب (حور) والقاموس المحيط (حور) ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس وغيرها من المعاجم (حور).

٢ -٢- أسباب الاختلاف :

والاختلاف أو الخلاف هو كما عرفه الجرجاني " منازعة تجري من المتعارضين لتحقيق حق أو إبطال باطل "(١١).

وأسباب الاختلاف كثيرة، ترجع في معظمها إلى اختلاف الأجناس والأديان والثقافات، وتؤثر في أغلبها عوامل النشأة والتكوين. فالاختلاف سنة كونية جُبل عليها البشر ولا يملك الانفكاك عنها، بل إنها من مسببات خلقه، وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله عز وجل: ﴿**وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾(١٢).

ويمكن أن نلخّص أسباب الاختلاف في الآتي:

أ- معرفة الحقيقة على الوجه الأكمل، فالحقيقة قد تبدو ذات أوجه مختلفة في نظر المتأمل وقد وصفها الحكماء بقولهم: " إن الحق لم يصبه الناس من كل وجوهه، ولم يخطئوه من كل وجوهه، بل أصاب بعضهم جهة منه، وأصاب آخرون جهة أخرى، وأصاب قسم ثالث جهة غير التي أصاب الأولان، إذ كل فريق يرى الحقيقة من زاوية غير التي يراها منه الآخر.

ب- سوء النية واللجاج؛ فكم نية حملتْ صاحبها إلى اللجاجة في العتو والنفور عن الحق، فأخذته العزة بالإثم واتّبع هواه وكان عاقبة أمره خسرًا. ولا شيء أخطر على المرء من سوء النية وظن السوء، فهي تُلبس الحقّ بالباطل وتجعل المرء أسير رؤيته الخاطئة، يزن الحق بموازين هواه المختلة فيُطَفِّفُ المكيال، ويعرض الحق على هواه بدل أن يعرف الحق بالحق.

ج- التعصب للرأي والحسد للغير؛ فكم من حِوارٍ دار حول مسائل علميّة فتَحوّل - بسبب التّعصب - إلى نزاع شخصي وانتصار للذات وعداء للحق ومكابرة، فآل بين المتحاورين إلى شتائم، يكيل فيها كلٌّ من الطرفين السِّباب والفحش للآخر.

---

(١١) الجرجاني: التعريفات (حرف الخاء) ص١١٣.

(١٢) سورة هود، الآية (١١٨-١١٩).

وقد حصل هذا بين كثير من العلماء على مختلف العصور، وكتب التراجم[١٣] والتاريخ حافلة بهذه الشتائم بين من يفترض أنهم أعلى مقامًا وأوفر علمًا. فإذا كان هذا حال النخبة فماذا عساه يكون حال العامّة ؟

د- التقليد الأعمى: وهي مسألة ابْتُلي بها بعض العلماء فضلاً عن غيرهم، وترجع في حقيقة الأمر إلى تقديس آراء الماضين وتقليدهم دون دليل نقلي أو عقلي، فيرى الحق حكرًا على الماضين، يضفي عليهم هالة من التقديس، وينجرف تحتَ مسلمات استحسنها ومقولات استصوبها "ما ترك الأول للآخر"، "وليس في الإمكان أفضل مما كان"، فينحدر في التعصب المقيت والانحياز المذموم لرأي عالم أو مذهب أو غيره.

فيجب أن يكون مطلبك الحق، وأن تَعرف الرجال بالحقِّ لا أن تعرف الحقَّ بالرجال، لأن الرجال يخطئون، والحق ثابت، والرجال يموتون والحقُ لا يتغير، وأن يكون شعارك "إيثارُ الحقِّ على الخلق"[١٤]، فعلى أيِّ محاور ينشد الحق أن يدور مع الحق لا مع الخلق، وألا يتخذ شخصًا ولا مذهبًا قدوة يقلده على غير بصيرة من أمره، فيصدق عليه قول المعلِّمي: "شأن المحامين في المحاكم، معيار الحق عندَ أحدهم مصلحةُ مُوَكِّله"[١٥].

هـ- تحرير محل النزاع: فكثيرة هي الأطراف المتنازعة ولا يدري أيٌّ منها موضع النزاع، إذ لم يتفقوا أصلاً على المسألة محلّ النزاع، فيسلك هذا سبيلاً في معالجة جزئية ويسلك الثاني مسلكًا آخر، وما دريا أنهما يتنازعان في مسألتين مختلفتين، لأن كلاً منهما يقْصد شيئًا غير الذي يحاوره فيه صاحبه، فتكون النتيجة هدر طاقات وزرع خلافات لا يُرجى لها حل. وأنَّى يُحسَمُ نزاع لم تُعرف أسبابُه ؟ ما إن مَوضع النزاع لم يحرر ؟

٢ -٣- دواعي الحوار:

الحوار ضرورة إنْسَانيّة يقتضيها تعايش الشعوب بمختلف أجناسهم وأعراقهم وأديانهم وثقافاتهم.

---

(١٣) يراجع لهذه المسألة، التنبيه على سبب الخلاف بين العلماء للإمام البطليوسي، وكتاب التحقيق في أحاديث الخلاف بتحقيق مسعد عبد الحميد السعدني.

(١٤) ألف أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الوزير اليماني كتابًا بهذا الاسم.

(١٥) راجع عبد الرحمن بن يحيى المعلِّمي: التنكيل ٣٧/١.

بل والأسرة الواحدة والقبيلة الواحدة والشعب الواحد، مختلفون في وجهات النظر لا تكاد تجدهم متفقين في طُروحاتهم وآرائهم.

فقد نجد أفراد الأسرة الواحدة مثلاً ينتمون إلى تيارات مختلفة، فمنهم القومي والإسلامي والعلماني.

وهذا أمر يتطلب أن يقبل كلٌّ منهم وجهة نظر الآخر، ولا سبيل إلى ذلك إلا بواسطة التحاور والتناظر.

وفي هذا العصر المائج بالمذاهب والتّيارات والفرق، مع اختلاف اللغات والأجْناس، والبيئات الاجتماعية والمصالح المعاشية، دواعٍ كثيرة للخلاف. وكل ذلك يتطلب حوارًا تقتضيه مصلحة المُتحاورين بغْيَةَ التّعايش السلمي، وإنصاف كل طرف للآخر سعيًا لإيجاد حل يرضي الطرفين إن أمكن ذلك، أو يَقْبله كل منهما وإن لم يرض به.

ويمكن أن نجمل دواعي الحوار في النّقاط الآتية[١٦]:

١ - دافع اجتماعي:

الإنسان لبنة في مجتمع لا يستقيم أمره ولا تُقضى مصالحُه إلا بالتّعاون والتواصل مع المجتمع، والحوار هو أحد الوسائل التي يتخذها الناس للتعبير عن خلجات أنفسهم وسر ضمائرهم. لذا نجد أساليب الحوار في مختلف الأوساط الشعبية والرسمية، بين عامة الناس في شؤون معاشهم، وبين الأوساط العلمية في المدارس والجامعات والمنتديات وقاعات النّدوات والمؤتمرات، وحيثما اجتمع الناس وتلاقوا.

٢ - دافع ثقافي:

إن تنوُّعَ الثقافات واختلاف الحضارات بين الشعوب في القطر الواحد أو البلد الواحد ينجم عنه تباين في الرؤى، واختلاف في العادات والقيم. وعادات الشعوب وتقاليدها هي مصدر اعتزازهم ورمز فخرهم.

وقد يكون الموروث الثقافي لدى بعض الشعوب محل تقديس يصل أحيانًا إلى حد التّأليه والعبادة كما هو الحال عند المجتمعات الوثنية.

(١٦) راجع: د. عثمان علي حسن: مجلة الأحمدية العدد ١٦/ محرم ١٤٢٥هـ ص٢٦٩.

وهذا التَّعدد الثقافي يستدعي أنواعًا من الحوارات الهادئة التي يتنازل فيها بعض المتحاورين عن جزئيات لا تُرضي مُحاوِرَهُ مع تمسك كل طرفٍ بخصوصيته الثقافية وثوابته الأخلاقية.

فإن لم ينهض بهذا الحوار النُّخْبة من العلماء أوشك أن يتَولَّد عن هذا الاختلاف تصادم حضاري يكون فيه القَدحُ المُعَلَّى للأندى صَوتًا والأكثر عددًا وعدة، وهم اليوم – دون ريب – أراذل النّاس وسفهاؤهم.

٣ – اختلاف الأديان :

من أكثر دواعي الحوار بين الشعوب اختلاف الأديان، إذ يعتقد أهل كل ملة أنهم على صواب وغيرهم على ضلالة، مستمسكًا كل فريق بما وجد عليه آباءه من معتقدٍ تلقاه بالفطرة عن أَبَويه، أو من تَولىَّ تَربيته في طُفولَته الأولى، دون إعمال فكر أو عقل في بداية التلقي.

فإن اكتمل نُضْجه ووعيه بدأ بمساءلة نفسه وتمحيص معارفه ومعتقداته، فيبدأ حوارًا ذاتيًا مع نفسه بالتأمل والتفكير وعرض معتقداته على العقل والفطرة السليمة، فإذا لم يجد من نفسه ما يشفي عِلَّتَه ويطمئن له قلبه، يبدأ بمساءلة الآخر ومُحاورته، سعيًا إلى تصحيح ما يَدينُ به، مُتخذًا الحجج والبراهين نبراسًا لصحة أو فساد ما هو عليْه. وقد تقُوده هذه الرحلة الحوارية مع النّفس ومع الآخر إلى الإسلام، كما قد تؤدي به إلى إحدى الديانات الأخرى أو إلى الوثنية أو اللادينية كالإباحية والعلمانية.

٤ – الاختلاف في أصول الإسلام وفي فروعه :

ويدخل تحت هذا القسم الاختلاف في أمور العقائد؛ كالقدرية والجبرية والجهمية والخوارج...

كما يدخل تحته الاختلاف في الفروع الفقهية، كالمذاهب الفقهية الأربعة والمذاهب المنقرضة أو القليلة الوجود[١٧].

(١٧) المنقرضة كمذهب الأوزاعي وسفيان الثوري، والطبري، ومذهب داوود الظاهري، والنَّادرة الوجُود كمذهب ابن حزم الظاهري، يمكن مراجعة كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة، وتاريخ الفقه الإسلامي لمحمد علي السايسي.

وقد اعتبر العلماء هذا الاختلاف رحمة للأمة، مقصودًا بغرض التَّوسيع على الناس حتى يأخذ كل شخص بما يستطيع من جزئيات وفروع دون أن يتعَدَّى حدود الله (ارتكاب الحرام المُجمع على تحريمه). وقد أشار إلى جواز هذا الاختلاف كثير من العلماء، قال الشاطبي "إنَّا نقطع بأن الخلاف في مسائل الاجتهاد واقع ممن حصل له محض الرحمة وهم الصحابة ومن اتّبعهم بإحسان رضي الله عنهم... ومعنى هذا أنهم فتحوا للناس باب الاجتهاد وجواز الاختلاف فيه"[١٨].

وهذا الاختلاف هو المجال الذي يتَحرك فيه العلماء، والمساحة التي أتاحها لهم الشارع ليتَحركوا وفْقَ سقْف "المصالح المرسلة" كي يظْهروا قدراتهم على الاستنباط، وتكييف ما يَسْتَجدُّ من أمور النّاس ومصالحهم مع مقَاصد الشريعة، مع مراعاة البيئات الاجتماعية وما يقْتضيه الحال والمكان والزمان والأخذ بالرُّخَص والعزائم حسبما تَقْتَضيه نصوص الشريعة، وهذا ما أطلق عليه الفقهاء فقه المراحل أو تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان[١٩].

وقد أتاح هذا الاختلاف - في الفروع - مجالاً واسعًا للمناظرة والحوار بين الفقهاء بقصد مقارنة الأدلة الشرعية لمعرفة ناسخها من منسوخها والراجح من المرجوح والصحيح من الضعيف، والذي عليه أهل المدينة كما هو الحال بالنسبة للمالكية... إلى غير ذلك من المسائل التي تستدعي حوارًا.

٢-٤- أصول الحوار في الكتاب والسنة :

أ- من القرآن :

دعا القرآن والسنة إلى استعمال العقل والتدبر في خَلْق الله، انطلاقًا من النفس البشرية: ﴿**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾[٢٠]، ثم التفكر في المخلوقات العظيمة من حيوان وجماد يدعو خلقها إلى التأمل في القدرة الخارقة: ﴿**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**

(١٨) الشاطبي: الاعتصام ٢/١٧٠، ولمزيد من التوسع في حكم الاختلاف في الفروع الفقهية، راجع محمد عوامة في أدب الرأي ص١٨.

(١٩) د. عثمان علي ثقافة الحوار مقتضيات وتحديات ص٢٩٧.

(٢٠) سورة الذاريات، الآية (٢١).

﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[٢١] ثم التأمل في ملكوت السماوات والأرض والمخلوقات العجيبة: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾[٢٢] إلى غير ذلك من الآيات التي تدعو إلى استعمال العقل والفكر بُغْية الوصول إلى الحقائق.

كما أخبر سبحانه بعدم الإكراه في الدين: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[٢٣].

ودعا إلى الحوار العلمي الذي يعتمد العقل والبرهان الساطع سبيلاً إلى الوصول إلى الحقيقة. والنصوص القرآنية في هذا المجال كثيرة وواضحة الدلالة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٢٤]. وقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٢٥].

وكما دعا القرآن إلى الحوار، فقد أمر بأن يكون هادئًا، يعتمد الكلمة الحسنة والأسلوب الراقي والقول اللين سبيلاً للحوار: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢٦].

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٢٧]. ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[٢٨]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[٢٩]. ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٣٠].

---

(٢١) سورة الغاشية، الآية (١٧-٢١).

(٢٢) سورة الأعراف، الآية (١٨٥).

(٢٣) سورة البقرة، الآية (٢٥٦).

(٢٤) سورة البقرة، الآية (١١١).

(٢٥) سورة آل عمران، الآية (٦٤).

(٢٦) سورة العنكبوت، الآية (٤٦).

(٢٧) سورة النحل، الآية (١٢٥).

(٢٨) سورة طه، الآية (٤٣-٤٤).

(٢٩) سورة الحجرات، الآية (١٣).

(٣٠) سورة الأنعام، الآية (١٠٨).

هذه هي طريقة القرآن في الحوار، لا يلجأ إلى السِّباب والتجريح ومصادرة الرأي الآخر: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾[٣١].

ب - في السنة النبوية :

أما الأحاديث التي تدعو إلى الحوار وتحث عليه فكثيرة، وسيرته ﷺ في محاورة أصحابه وسائليه ومستفتيه، ومشركي مكة وأهل الكتاب حافلةٌ بالأدلة على مشروعية الحوار، وكونه أفضل الطرق لمُحاجّة الآخر وإقناعه إلى الدخول في الإسلام.

ففي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم "[٣٢].

أ - **من أمثلة حواره مع اليهود** : - وهي كثيرة بحكم جوارهم له بالمدينة - أنَّ نفرًا من أحبار اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا عن أربع نسألك عنهن فإن فعلت ذلك اتبعناك وصدقناك وآمنا بك... فقال سَلُوا عما بدا لكم فقالوا: أخبرنا كيف يشبه الولد أمه، وإنما النطفة من الرجل... قال فأيتها غلبت (أي النطفتان) كان لها الشبه قالوا اللهم نعم، قالوا فأخبرنا كيف نَوْمُك؟ قال تنام عيني وقلبي يقظان فقالوا اللهم نعم، فقالوا أخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه... فقال ألبان الإبل ولحومها... فقالوا اللهم نعم. قالوا فأخبرنا عن الروح؟ فلما نزلت عليه ﴿**ويسألونك عن الروح....**﴾ أخبرهم أنه جبريل فقالوا له إنه (أي جبريل) عدوٌّ لبني إسرائيل ولولا ذلك لاتبعناك[٣٣].

وفي الحديث أساليب كثيرة تدل على حرص الرسول ﷺ على هداية اليهود وإلانَة الكلام لهم بُغْيَةَ اسْتمالتهم إلى الإسلام (حذفنا هذه العبارات لطول الحديث).

---

(٣١) سورة يوسف، الآية (١٠٨).

(٣٢) أخرجه أبو داوود في سننه،كتاب الجهاد، باب كراهية ترك الغزو، حديث رقم: ٢٥٠٤، ٣/١٠، وسنن النسائي باب وجوب الجهاد ٦/٧.

(٣٣) لم نقف عليه في كتب الأحاديث، وهو في سيرة ابن هشام ٣/٢٣٠ (بتصرف)، وتفسير الطبري ١/٤٣٢.

ب – **مع المشركين:** ومن ذلك قصة ضمام بن ثعلبة الذي جاءه وافدًا عن قومه بني سعد بن بكر، فأناخَ بَعيره على باب المسجد، ثم وقف على رسول الله ﷺ فقال أيكم ابن عبد المطلب، فقال رسول الله ﷺ: أنا ابن عبد المطلب، قال إني سائلك ومغلظ عليك في المسألة فلا تجدن في نفسك، قال: سَلْ عمّا بدا لك، فأنشده بالله هل الله بعثه قال اللهم نعم، ثم سأله هل الله أمره أن يوحدوه ويخلعوا الأوثان، ثم سأله آلله أمرك أن تصلي الصلوات الخمس، ثم جعل يذكر فرائض الإسلام كالزكاة والصيام والحج. آلله أمره بها، حتى إذا فرغ تَشهَّد ثم قال سأؤدي هذه الفرائض وأجتنب المنهيات ثم لا أزيد ولا أنقص، ثم رجع إلى قومه فأخبرهم بما جرى فما أمسى في ذلك اليوم في حيّه رَجُلٌ ولا امرأة إلا مسلمًا[٣٤].

وإذا كان البعض يرى أن ضماما جاء مسلما، يكتم إسلامه، فإن السياق والأسلوب اللذان خاطب بهما ضمامُ الرسولَ ﷺ لا يُعَزِّزان هذا الرأي، فقوله: أيكم ابن عبد المطلب؟ فيه جفاء لا يصدر عن الصحابة الكرام ذوي الأدب الجَمِّ، الذين يكونون في مجلسه كأنما على رؤوسهم الطير حياء وأدبا، وكذا قوله: إني سائلك فمشدد عليك، ثم استحلافه له على كل جواب، فِعْلَ الشّاكِّ المتردد، كلُّ ذلك يُبعد احتمال مجيئه مسلما سائلا عن أمور أشكلت عليه، والله أعلم.

ج – من أمثلة حواراته ﷺ المباشرة مع النصارى محاورته مع وفد نصارى نجران وقد رواها ابن إسحاق، قال: قدم وفد نصارى نجران ستون راكباً منهم أربعة وعشرون رجلاً من أشرافهم وثلاثة منهم يؤول إليهم أمرهم وهم العاقب والسيد وأبو حارثة أحد بني بكر بن وائل أسقفهم وصاحب مدارسهم ولما دخلوا المسجد النبوي دخلوا في تجمل وثياب حسان وقد حانت صلاة العصر فقاموا يصلون إلى المشرق فقال رسول الله ﷺ دعوهم وكان المتكلم أبا حارثة والسيد والعاقب وسألوه أن يرسل معهم أميناً فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح وكان أبو حارثة يعرف أمر رسول الله ﷺ ولكن صده الشرف والجاه عن اتباع الحق[٣٥]. **فحين نتأمل قوله ﷺ: "دعوهم" نلحظ أنها**

(٣٤) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب المغازي والسرايا، حديث رقم: ٤٢٨٠، ٣/٥٥ وابن عبد البر في الاستيعاب ٢/٧٥٢.

(٣٥)عمدة القاري، شرح صحيح البخاري، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه، حديث رقم: ٥٤٧٣، ج١٦/ص٢٣٩.

أمر بترك فعل همَّ به الصحابة، ولعله إما منع الوفد من الصلاة ولما يُعلنوا إسلامهم، وإما منعهم من الصلاة إلى المشرق، وقد نسخت القبلة، وهو الأظهر. وفي سؤالهم له أن يُرسل معهم أمينا، وإجابته لهم بقوله: "لأبعثنّ معكم أمينا" -كما في بعض روايات الحديث - أرقى أنواع الحوار الهادف الذي يحترم فيه المحاورُ الطرفَ الآخر، ويُنصفه، ويترك له حرية التصرّف، وحرية المُعتقد، و يُتحفه بسُؤْله، فاعجب له من محاور !! فما ذا عساه يكون لو نزل بأحد مساجدنا اليوم وفدُ نصراني؟ وما ذا ينتظر أن تكون رَدّة الفعل حين يهمّ بالصلاة إلى بيت المقدس!!. وقد أخرج الطبراني المحاورة بصيغة أخرى، ذكر فيها الحديث الذي جرى بين أبي حارثة وأخيه كرز حين عثرت بغلة أبي حارثة وما كان من إقراره بأن النبي ﷺ هو النبي المنتظَر، وأنه ما يمنعه من اتِّباعه إلا مخافة فقد مكانته وشرفه وماله الذي زوده به ملوك الروم من النصرانية[٣٦]، لكن يؤخذ على هذه الصيغة أن رسول الله ﷺ لم يكن طرفا مباشرا فيها.

وقد حاور النبي ﷺ النصارى عن طريق الرسائل والكتب التي أرسلها إليهم يدعوهم فيها إلى الإسلام، كرسالته إلى هرقل ملك الروم مع صاحبه دحية الكلبي، ورسالته إلى النجاشي ملك الحبشة مع عمرو بن أمية الضمري، ورسالته إلى المقوقس ملك مصر مع حاطب بن أبي بلتعة، كما راسل ملك الفرس وأمير البحرين واليمامة وعمان ودمشق، وكلهم ردوده معلومة مروية من طريق سيرته ﷺ[٣٧]. إذ يروى أن بعضهم جمّع معاونيه ومستشاريه، وغلّق أبواب قصوره وعرض عليهم مضمون الرسالة، فلما رأى إعراضهم قال لهم إنما كنت أختبر مدى شدة تمسككم بدينكم، وإن كان هو قد وقع في قلبه ميل إلى الإسلام، كما يروى عن بعض الملوك أنه مزّق كتابه فبلغ النبيَّ ﷺ فقال: مزقوا كتابي مزّق

---

(٣٦) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، حديث رقم: ٣٩٠٦، ١٧٦/٤، وزاد المعاد في سيرة خير العباد لابن القيم الجوزية ٣٩/١.

(٣٧) انظر كتابه ﷺ إلى هرقل، أخرجه البخاري باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم: ٧، ٩/١، ومسلم باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، حديث رقم: ١٧٧٣، ١٣٩٣/٣، ولمزيد من التوسع في رسائله ﷺ إلى الملوك، راجع كتاب المصباح المضيء في كتب النبي ﷺ إلى كل عربي وعجمي لابن حديد الأنصاري فقد أشبع البحث في الرسائل وتناولها بالتفصيل.

الله ملكهم، أما رد هرقل فمعلوم ومشهور: ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، إلى آخر تلك الردود المسطورة في كتب السير والحديث.

ومن المعلوم أن هذه الرسائل وأجوبتها تعد حوارا ت راقية عن بعد، وقد حوت أروع وأرقى وأسس الحوار، إذ لا يشترط في الحوار أن يكون مباشرا، فثمة صور للحوار تأخذ أشكالا وصورا عن بعد، ليس الحوار المباشر إلا أحدَ أصنافها، ولم يذهب أحد المهتمين بهذا الشأن إلى اشتراط المباشرة في الحوار.

أما حواراته مع مشركي مكة فكثيرة مثبتة في كتب الصحاح والسنن وكتب السير. ومن أبرزها وأعظمها أثرًا في الدولة الإسلامية محاورته في صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة[٣٨]، والذي يُعَدُّ فتح مكة – ثمرة من ثمراته، ودخلت الأمة إثره في دين الله واندحر الشرك إلى غير رجعة.

٣ - الحوار: ضوابطه وأسسه

٣ - ١ - الحوار والمصطلحات المشابهة له :

حين نتحدث عن ضوابط الحوار، تذهب بنا المذاهب إلى كَمٍّ من المصطلحات المتداخلة (المراوغَة)، فلا تكاد تتحدث عن الضوابط حتى تجد نفسك أمام عناوين أخرى مشابهة مثل: أصول الحوار ومنطلقاته وأسسه وقواعده وآدابه وآلياته وشروطه وأركانه وأساليبه.

وهي مصطلحات متداخلة كما لا يخفى، والذين يتحدثون عن الحوار، أو ما شابهه من هذه المفردات، لا يفرقون بين أهدافه ومنطلقاته، أو من حيث الشكل أو المضمون، أو من منظور الطرفين المتحاورين (الأشخاص). وبعضهم يتحدث عن ضوابط عامة تشمل كل أصناف الحوار بصرف النظر عن انتمائهم لدين واحد أو عدم انتمائهم له، وكذا العلم بموضوع الحوار والإنصاف في الرأي الآخر.

وبعضهم يتحدث عن ضوابط خاصة بالمحاوِر المسلم سواء أكان يحاور مسلمًا أو غيره،

---

(٣٨) أخرجه البخاري، كتاب الصلح باب كيف يكتب هذا ما صالح عليه فلان، حديث رقم: ٢٥٥١، ج٢/٩٥٩، وأخرجه مسلم باب صلح الحديبية في الحديبية، حديث رقم: ١٧٨٣، ٣/١٤٠٩.

كالحديث عن دواعي الحوار عند المسلم، كإخلاص النية لله سبحانه وطلب الحق والاحتكام للشرع[٣٩].

٣ -٢- ضوابط الحوار :

على الرغم من تداخل مصطلحات الحوار – كما أسلفنا – فإنه يمكن القول إن ضوابط الحوار ترتبط إلى حد بعيد بأهدافه. وللأهداف أثر بالغ في تحديد أسلوب الحوار ومنهجه، كما لأركان الحوار (طرفاه: المحاوِر والمحاوَر والموضوع) أثرها القوي في جدية الحوار وإيجابيته.

لذا يمكن الجزم بأن للحوار حكم أهدافه ومقاصده، فإن كان لإحقاق حق أو لرفع ظلم كان نبيلاً مطلوبًا، بل ربما واجبًا، وإلا فهو مذموم ساقط، فهو " محمود إن كان للوقوف على الحق وإلا فمذموم "[٤٠]. لذلك نرى النصوص الشرعية أحيانًا تذم الجدل وتنهى عنه، وأحيانًا تأمر به وترغب فيه، وما ذلك إلا باعتبار أهدافه ودوافعه.

فإن كان الحوار بقصد المفاخرة والمغالبة والانتصار على المخالف، فهو من الجدل المذموم وحظ صاحبه منه انتصاره لحظوظ نفسه من رياء وسمعة، وأن يقال له محاور و مجادل وخطيب، وقد حذَّر العلماء من مغبة ذلك وآفاته[٤١].

أما إن كان الحوار لإحقاق حق أو إبطال باطلٍ أو إرشاد مخطيء، أو لرد مظالم، أو لهداية ضال، فهذا مقصد نبيل وهدف سامٍ.

وأيًّا كان هدف الحوار فتجب مراعاة ضوابطه منهجًا وأسلوبًا، وما يجب مراعاته مع المسلم المخالف لا يختلف كثيرًا عمّا يلزم مراعاته مع غير المسلم، إذ الهدف واحد والإنصاف مطلوب مع الجميع، والحق أو "الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى بها".

---

(٣٩) د. عثمان علي ثقافة الحوار مقتضيات وتحديات ص٢٩٧.

(٤٠) المصباح المنير مادة (جدل).

(٤١) راجع إحياء علوم الدين للغزالي ج١ ص/٤١ الباب الرابع " في سبب إقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل ".

وقبل أن ندخل في تعداد ضوابط الحوار لا بد أن نُعَرِّج على تحديد مصطلح "المختلف" أو المخالف[٤٢].

فنحن حين نطلق كلمة " مخالف " على " الخصم " أو المحاورَ أو الطرف الآخر، فإننا نكون قد طفَّفْنَا المكيال في الحوار – إذا صح هذا التعبير – أي أننا لم ننطلق من الصفر إذ لفظ "مخالف" يعني أنك اعتبرت الآخر مخالف لك، وهي نظرة غير واقعية ولا منصفة، فالأصح أنه "مختلف" لما تعني هذه الكلمة من حيادية مع الآخر، وعدم الحكم عليه مسبقًا بأي نظرة تدل على الميل أو الحيف فضلاً عن الفوْق، فلا يمكن أن نطلق على الآخر " مخالفًا " من منطلق علمي بحت إلا إذا كان المُخْتَلَفُ فيه واحدًا لا يحتمل التعدد، ولا يختلف فيه اثنان.

فهناك في الأغلب درجات متفاوتة في الصواب والخطأ – حتى في الأمور الشرعيّة – وبينهما منطقة حرة أو محايدة هي مجال اجتهاد الفقهاء أو العلماء أو أهل الفن. وهذا ما جعل الأحكام الشرعية تتراوح بين حدَّين رئيسيين هما الفرض والحرام وبينهما منطقة السنة والمباح والمكروه ومخالفة الأولى، وهذا ما يبرر الاختلاف في المسائل الفروعية... بحيث لا يرى أي فريق أو مذهب أنه على حق وغيره على خطأ لأن الحق أو الصواب شيء مستقل بذاته ليس لأحد أن يحتكره لنفسه فيدعي أنّه على حق وغيره على خطأ، فذلك ترفضه أدنى مسلمات المنهج العلمي الصحيح. فعلى المحاور إذن مهما كانت مؤهلاته العلميّة وأيا كانت ثقته بما هو عليه من صواب – إلا أن يكون رسولاً يتلقى الوحي من الله بنصوص قطعية الدلالة – أن يعامل الآخر (المختلف) من منطلق أنّه ندٌّ له مساوٍ له في الحقوق والقدر وأن أيًّا منهما ليس أقرب للحق من الآخر إلا أن يكون أقوى دليلاً وأوضح برهانًا.

والشيء الذي يرسخ ثقافة الفوقية في الحوار عندنا اليوم أننا نرى في مختلف أروقة الحوار أن الداعية أو المرشد أو الواعظ أو السياسي أو الإعلامي، كلٌّ أولئك يعتبر نفسه حامل الحق وحاميه ومالكه يتكلم من منطلق الفوقية والسلطة العلمية، وأنه إن ترك هامشًا للآخر للتعبير عن حقه في الرد فإنما يتصدّق عليه فضلاً منه وتكَرُّمًا، وأن الأصل أنه هو معطٍ والآخر آخذ ومتقبل، وهذا ما جعل معظم الناس المتفرجين على الحوار يرفض هذه

(٤٢) راجع الحوار النبوي ص٧٤.

النظرة السلطوية للحوار، يعتبره خارجًا عن أعراف الحوار العلمي، ولا يتَقَبّل النتائج المترتِّبة على هذه الحوارات لما اتّسمتْ به من اغتصاب لحق الآخر في المناظرة. كما أن هذا المنهج في الحوار مخالفٌ للمنهج القرآني الذي يَدعو للفرضية الصفرية للحوار، والتي تعتبر المتحاورين متساويين في الحقوق، لا فَضْل لأحد منهما على الآخر، قال تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾(٤٣).

ويمكن إجمال أهم الضوابط في المفردات الآتية :

١ – اللين أو الرفق مع المخالف، ولو كان ألدَّ الأعداء، فلا شيء أكثر تأثيرًا في نفس الخصم من احترامه، فإنك لن تنتزع منه بالشدة ما لم تأخذه باللطف والرحمة،، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾(٤٤).

وفي الحديث "إن الله كتب كتابًا ووضعه عنده، فيه إنها غلبت رحمتي غضبي وسبقت رحمتي غضبي"(٤٥). ولا تحسبن أنك المحُقُّ المصيب وأنه المخطيء المبطل، فإنه لن يتقبل منك الحق ممزوجًا بالشتائم فإنك بفعلك هذا تُنفره بدلاً من استعطافه. ولا يحملنَّك اعتدادك بما أنت عليه من رأي صائب – في اعتقادك – على مصادرة حقه في الرد، فلا تَعتَبرنْه – وإن كنت مُحقّاً – عدوًا مكابرًا، ولكن صديقًا مخالفًا، أوهبه غريقًا يستصْرخ من ينقذه، أو ضالاً أخطأ الطريق، يحتَاجان إلى منقذ وهادٍ لا إلى مقرِّع ومؤنِّبٍ.

وإياك أن تعوض ضعف حجتك وهشاشة فكرتك برفع الصوت والصراخ فإن الحق لا يضيره خفضُ الصوت به ولا يزيد من صولته رفع الصوت به، فإن الحبال الصوتية لا تنوب عن الحجة القوية – كما يقال –.

وما أقرب القُلوب في حال التَّعامل معها بالرفق والأدب، وما أبعدها في حال التعامل معها بالشدة والغلظة ومجانبة الأدب مهما كان الحقُّ واضحًا(٤٦).

---

(٤٣) سورة سبأ، الآية (٢٤).

(٤٤) سورة آل عمران، الآية (١٥٩).

(٤٥) أخرجه البخاري باب قول الله تعالى ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ حديث رقم ٧١١٤، ٦/٢٧٤٥، ومسلم باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه برقم ٢٧٥١ ، ٤/٢١٠٨.

(٤٦) راجع د. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي: قواعد ومنطلقات في أصول الحوار ص٢١.

٢ – الابتعاد عن التعصب :

فالتعصب يحمل المحاور على أن يعتقد أن الحقّ حكرٌ عليه، وأنّ رأيَ غيره باطل، فيجب أن يعتقد أن رأيه صواب يحتمل الخطأ حتى يترك هامشًا ومساحة لرأي الآخر، فالتعصب مولِّدُ للصراعات مُنْبتٌ للأحقاد، يحملك على أن تجعل من نفْسك الأمّارة وفكرك القَاصر ميزانًا تزن به الحق.

والأجدر بالمرء أن يتهم نفسه، ويفترض أنها على خطأ، وأن الخصم على صواب، وأن يتحاشى التَّسرع إلى تخطئة الآخر إلا بعد التأكد أنْ لا وجه لصحة رأيه.

فكم من خَصْم حادَ عن الحق وتمادى على الغواية من كثرة ما كال له صاحبُه من الشتائم فنفَّره وتحمّل كِبْرَ صَدِّه عن الحق ببذاءة لسانه وخبث سريرته، وفي الحديث الشريف "إن منكم منفرين"(٤٧). وفي الحديث كذلك "ليس المؤمن بالطَّعان ولا الفاحش ولا البذيء"(٤٨).

والنفوس مجبولة على النَّفْرة ممن يلعنها ويسبها، وإذا كُنْتَ حريصًا على إقناع خصمك فإنك لن تستطيع إقناعه إلا بالكلمة الحسنى.

وإنَّ سبَّك للمخالف وشتْمك له سَبَبٌ لصرفه عن الحق الذي يفترض أنك تَدعوه إليه، فإياك أن تَتحمل وزر من تدعوهم وتجادلهم بسبب صدّك لهم عن الحق بأسلوبك الفظِّ فإن الله تعالى قال لنبيه: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾(٤٩).

وآفة التعصب الكبرى أنّه يؤدي بصاحبه إلى الخلط بين رأيه الشخصي ووجهة نظره الخاصة وبين دلالة الدليل على ذلك الرأي.

والأخطر من ذلك أن التعصب يقود صاحبه إلى اعتبار ما هو عليه من رأي وعلم حقًّا لا يتَطرق إليه الباطل ولا يحتمل الخطأ، فيغدو – بسبب غُرُوره بنفسه – داعية للشر باسم الخير وإلى الباطل باسم الحق فيتخذ من نفسه مرآة للحق.

---

(٤٧) قطعة من حديث أخرجه البخاري كتاب الجماعة والإمامة باب تخْفيف الإمام في القيام، حديث رقم: ٦٧٠، ج١/٢٤٨، ومسلم كتاب الصلاة باب أمر الأئمة بتخفيف الصَّلاة في تمام، حديث رقم: ٤٦٦، ج١ ص٣٤٠.

(٤٨) أخرجه الترمذي في البر والصلة ١٤٩/٨، والحاكم في المستدرك ج١/٥٧ كتاب الإيمان.

(٤٩) سورة آل عمران، الآية (١٥٩).

٣ - **الإنصاف**[٥٠] :

ويعتبر من أبرز وأهم ضوابط الحوار، وهو العدل في الحوار وإعطاء المخالف فرصة مكافئة لفرصتك ومساحة متساوية مع مساحتك، ويشمل ذلك الوقت والألفاظ والحركات والسكنات وحتى قسمات الوجه وحركات الأيدي... إلى غير ذلك.

وقد أمر القرآن في آيات كثيرة بالعدل والقسط: ﴿**وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾[٥١]. وفي آية أخرى: ﴿**وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى**﴾[٥٢]. ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾[٥٣]. و﴿**كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ**﴾[٥٤].

وقد أعطى القرآن أروع مثال للعدل حيث قال: ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[٥٥] حيث أعطى الخصم ما أعطى نفسه. لكن القرآن ضرب أروع مثال للإنصاف حيث أنصف الخصم وبالغ في إكرامه وحسن الأدب معه حيث قال: ﴿**قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[٥٦] فانظر إلى قوله: ﴿**أَجْرَمْنَا**﴾ في حق المتكلم (المحاور)، وحسن العبارة وانتقاء اللفظ في حق المخاطب (المحاوَر) حيث وصف فعله بقوله: ﴿**عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ التي لا تدل على حكم مسبق في حقه ولا أدنى إشارة إلى خطئه فضلاً عن تجريحه أو تجريمه فأي إنصاف هذا؟!! وهذا لا شك يؤثر في نفسية الخصم ويهيئه للإنصات وتقبل الرأي الآخر مهما اتسعت هوة الخلاف.

وسنرى أمثلة كثيرة من الإنصاف في "الحوار النبوي" مع المسلم وغير المسلم إن شاء الله في الفصول اللاحقة.

---

(٥٠) راجع محمد عوّامة في أدب الرأي ص٧٢-٨١.

(٥١) سورة المائدة، الآية (٨).

(٥٢) سورة الأنعام، الآية (١٥٢).

(٥٣) سورة النحل، الآية (٩٠).

(٥٤) سورة النساء، الآية (١٣٥).

(٥٥) سورة سبأ، الآية (٢٤).

(٥٦) سورة سبأ، الآية (٢٥).

وإذا رجعنا إلى سيرة السلف الصالح نجد نماذج رائعة من الإنصاف تجعلهم لا يحابون في الدّين ولا يداهنون في الحق، من ذلك موقف علي بن المديني حين سئل عن أبيه عبد الله بن جعفر، فقال سلوا غيري، فأعادوا فأطرق، ثم رفع رأسه، فقال "هو الدّين" وفي زيادة للسّخاوي يقصد بها توضيح العبارة "هو الدّين إنه ضعيف"[٥٧]، يريد ضعيف الرواية. **فأيُّ إنصاف أكثر من أن يصف الرجل أباه بالكذب تأثُّما وبعدا عن المحاباة في الدين، فهو يقول الحقّ ولو اقتضى الأمر تجريح أبيه الذي هو أولى الناس بالتوقير والاحترام، لكنه الإنصاف في أرقى صوره، والورع في أروع تجلّياته!!**

وفي مقدمة صحيح مسلم: قال زيد بن أبي أُنيسة لا تأخذوا عن أخي "وزاد السّخاوي يحيى المذكور بالكذب[٥٨].

وفي سنن البيهقي: " أن أبا بكر محمد بن الجارودي كان إذا مرَّ بقبر جده الجارود بن يزيد العامري قال يا أبت: لو لم ترو حديث بهز بن حكم " أَتَرْعَوُنَّ عن ذكر الفاجر" لزرتك[٥٩]، يقصد أنه لمجرّد روايته لهذا الحديث – الذي ضعّفه البعض وصححه البعض – امتنع عن زيارة جده الذي له حقّ الأبوّة، وأدناه زيارة قبره، فانظر إلى حرص هؤلاء على الأمانة في نقل الحديث!!.

فالإنصاف إذن من شيم الأشراف، وحرية التعبير لا يَسْتَأثر بها أيٌّ من الطرفين على الآخر، بل هي حقٌ طبيعي تمليه أبسط مقومات البحث العلمي، والوقُوف عند حد الإنْصاف هو ضابط التمسك بالمنهج العلمي السليم الذي يضمن لك ولخصمك الوصول إلى نتائج علمية مرضية تُرْضي المتحاوريْن ولا يُغْتصب فيها حق لطرفٍ.

---

(٥٧) راجع تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٥/١٧٥، ط تصوير دار صادر ط: ٨/ حيدر آباد الدكن.

(٥٨) راجع مقدمة صحيح مسلم بشرح النووي ١/٢٧ (المقدمة).

(٥٩) سنن البيهقي الكبرى، باب الرجل من أهل الفقه يسأل عن الرجل من أهل الحديث فيقول كفّوا عن حديثه لأنه يغلط أو يحدث بما لم يسمع أو أنه لا يبصر الفتيا، حديث رقم: ٢٠٧٠٣، ١٠/٢١٠ ط مصورة دار المعرفة لطبعة حيدر آباد الدكن.

فزهو النقاش لا يحصل ونشوة الانتصار لا تُستكمل إلا إذا دار النقاش وفق منهج قويم.

وقد أسس النبي ﷺ لهذا المنهج حين جاءه أعرابي فجبذه جبذة شديدة بردائه حتى - قال الراوي - نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعطاء[٦٠]، فالرسول ﷺ فضلا عن كونه الرحمة المُهداة، وعن كونه لا ينتصر لنفسه، ولا يغضب إلا إذا انتُهكت محارم الله، إلا أنه في كل أفعاله وأقواله إنما يؤسس لقيم الفضيلة ومكارم الأخلاق، وأفضلها الحلم وإنصاف الآخر.

٤ - أدب الحوار في السنة النبويّة

قبل أن نقدم نماذج من حوارته ﷺ مع المسلمين وغير المسلمين لنا أن نتساءل عن حكم الحوار في الإسلام هل هو مطلوب مرغب فيه، لما يترتب عليه من مصالح كدفع الشبهات ورفع المظالم واسترجاع الحقوق وإظهار الحق وصدِّ الباطل ؟ أم إنه مذموم منهي عنه لما يتطلب من مراء وجدل ومحاجّة لأهل الباطل والأهواء، قد يتَسبب في خُلطتهم ومجاراتهم في بعض أقوالهم وأفعالهم المشبوهة بذريعة إقناعهم، وقد يصل الأمر ببعض من ينسب إلى العلم والدين إلى الاعتراف بصحة دين مُحاوِره، وقد يذهب أبعد من ذلك حين يتفق المسلم مع خصمه على صلاتين إحداهما في الكنيسة والأخرى في المسجد، وترديد دعاء ملفق من القرآن الكريم والزبور تحت شعار "حوار الأديان" أو الحضارات أو مشروع السلام؟!![٦١].

هل الحوار إذًا مطلوب شرعًا أم أنه مرفوض ؟

الظاهر أن العلماء حين نظروا إلى مشروعيّة الحوار نظروا إليه من زاوية مقصده والغرض منه لا من حيث الشكل أو المضمون، بل من حيث المبادئ والنتائج. فتوصلوا إلى أن الحوار

(٦٠) صحيح البخاري باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس وغيره، حديث رقم: ٢٩٨٠، ١١٤٨/٣، والمسند المستخرج على صحيح مسلم، باب فضل القناعة، حديث رقم: ٢٣٥٢، ١١٩/٣.

(٦١) راجع: د. إسماعيل صيني: الحوار النبوي ص٤٠.

إن كان بالحق وللوصول إلى الهدي والصواب، ولكشف الباطل ودحض الشبهات فهو مباح جائز، وربما كان واجبًا إن كانت الحاجة ملحة إليه[٦٢]. وإن كان يؤدي إلى التنازل عن بعض الثوابت في الدّين أو موالاة الكفار أو مداهنتهم فهو مرفوض محرم.

لذا نرى بعض النصوص تحث على الحوار وتدعو له، بينما نرى في نفس السياق نصوصًا تنهي عنه وتحذر من الاشتغال به.

٤ -١- مراعاة حال الآخر:

كان ﷺ يحاور الشخص حسب حاله، فحواره للمشركين مختلف عن حواره لأهل الكتاب، كما يختلف أسلوب حواره للكافر عن المنافق، والجاهل خالي الذهن عن المعاند المكابر.

فحين يحاور المشركين يسوق العبارة بأسلوب سهل تطبعه البساطة والإيجاز، مركزًا على وحدانية الله وإفراده بالألوهية، وأن غير الله لا ينفع إذ يُدعى، وأن تعدد الآلهة لا يقبله العقل السليم والفطرة، كما يبتعد عن سب آلهتهم وتسفيه أحلامهم، ولكن يستعطفهم ويبين لهم بأسلوب مباشر يعتمد التمثيل والتشخيص أن التوحيد هو الطريق الوحيد للفوز في الآخرة وأن من مات مشركًا دخل النار... الخ.

ومن أمثلة حواراته ﷺ مع المشركين ما أخرجه الترمذي عن عمران بن حصين قال: قال النبي ﷺ لأبي: يا حصين كم تعبد اليوم إلهًا ؟ قال أبي سبعةً ستةً في الأرض وواحدًا في السماء. قال أيهم تَعُدّ لرغبتك ورهبتك ؟ قال الذي في السماء. قال يا حصين أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك، فلما أسلم حصين قال. يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني. فقال: قل اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي[٦٣]. وقد يأخذ الحوار أيامًا، يعطي فيه النبي ﷺ للخصم فرصًا عديدة من أجل الدخول في الإسلام طوعًا دون أن يقبل أن يفدي نفسه بمال أو غيره، من ذلك ما رواه أبو هريرة أن النبي ﷺ بعث خيلاً

(٦٢) راجع أقوال العلماء في حكم الجدل في كتاب إحياء علوم الدّين ج١ ص٤١.

(٦٣) أخرجه الترمذي وصحّحه، حديث رقم: ٣٤٨٣، كتاب الدعوات ج٥ ص٥١٩.

قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال ما عندك يا ثمامة ؟ فقال عندي خير يا محمد إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فتركه حتى كان الغدُ ثم قال ما عندك يا ثمامة ؟ فأعاد عليه جوابه، ثم تركه حتى كان بعد الغد، فأعاد عليه السؤال فأجابه بمثل جوابه السابق فقال أطلقوا ثمامة. فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله[٦٤].

وحواراته ﷺ مع المشركين كثيرة لا تخرج عن هذا الأسلوب المباشر الذي يعتمد الأسئلة والأجوبة في أبسط صورها، بعيدًا عن الإيغال في استعمال العقل وسوق الحجج والبراهين على ما يقتضيه حال المحاوَر من بساطة في التفكير ومستوى علمي ضعيف. أما أسلوبه ونهجه في محاورة أهل الكتاب فيأخذ طابعًا آخر، إذ المحاور له خلفية علمية عن بعض الأمور، وله سابق علم وثقافة ببعض الموضوعات وإن شابها تحريف وتبديل مقصود.

فأحيانًا يلجأ إلى اختيار صحة معلوماتهم أو بيان زيف وغلط المعلومة التي عندهم، لكن بأسلوب هادئ يعتمد الحجة والبرهان، بعيدًا عن الجدل والمراء مع الحزْم، ومقابلة كبريائهم وحسدهم بأسلوب يناسب الحال والمقام.

ومن أمثلة الحوار مع اليهود ما رواه أنس رضي الله عنه في قصة إسلام عبد الله بن سلام أكبر أحبار اليهود، قال أنس بلغ عبد الله بن سلام مقدمُ رسول الله ﷺ المدينة فأتاه، فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، وسأله عن أشراط الساعة وأول ما يطعَمُه أهل الجنة، ومن أي شيء يَنْزَعُ الولدُ إلى أبيه ومن أي شيء ينزع إلى أخواله. فأجابه النبي ﷺ بأن أول أشراط الساعة نارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وأول طعام أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما شبه الولد بأبيه وأمه، فإذا سبق ماء الرجل كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها، فأسلم حين أخبره بذلك... فأرسل إلى اليهود وسألهم عن عبد الله (قبل أن يعلموا بإسلامه) قال كيف عبد الله بن سلام فيكم ؟ قالوا أعلمُنا وابنُ أعلمنا وأخيرنا

(٦٤) أخرجه البخاري باب التوثق ممن تخشى مَعَرَّتُهُ، رقم: ٢٢٩٠، ٢/٨٥٣، ومسلم باب ربط الأسير وحبسه وجواز المنّ عليه، حديث رقم: ١٧٦٤، ٣/١٣٨٦.

وابن أخيرنا (وكان مختبئًا يسمع كلامهم)، فلما خرج وأعلن إسلامه قالوا شرّنا وابن شرّنا ووقعوا فيه[٦٥].

فانظر إلى غدرهم ومكابرتهم وتناقض كلامهم وإصرارهم على العناد والكفر. وأمثلة محاوراتهم له ﷺ كثيرة وعديدة لكونهم جيرانه بالمدينة المنورة، ويطبعها طابع الاختبار والمراوغة من جانب اليهود، فكثيرًا ما يختبرونه ويشترطون لإيمانهم به إجابته لهم فيقبل ﷺ هذا الاختبار وهذا التَّحدي رغبة في إسلامهم، لكن لا تكاد المحاورة تنتهي حتى يظهر غدرهم ومكرهم وبهْتهُم. أما محاورته مع المنافقين (الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر) فكان يطبعها طابع المجاملة والمداراة ما لم يصل الأمر إلى المداهنة في الدين.

فقد كان النبي ﷺ يعامل المنافقين – نظرًا لمعايشتهم للمسلمين ومساكنتهم لهم – معاملة يغلب عليها التغاضي عن مساوئهم والصفح عن زلاتهم ومعاملتهم معاملة المسلمين بغض النظر عن نواياهم السيئة، وكان ﷺ يحاول ألا يظهر شرخٌ ولا نزاعٌ بينهم وبين المسلمين حتى لا يؤثر ذلك على سير الدعوة، إذ المنافقون يُحْسَبوُنَ في الظاهر على الإسلام، وإظهارهم للإسلام منحهم حقوق المسلمين في حقن دمائهم وأموالهم وأعراضهم.

ومن صور معاملة رسول الله لهم ما رواه زيد بن أرقم وهو طفل لما يبلغ الحلم – قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر أصاب الناسَ فيه شدَّةٌ، فقال عبد الله بن أبي لأصحابه – فيما حكاه عنه القرآن الكريم – : ﴿**يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ**﴾[٦٦]. قال فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل. وقال: كذب زيدٌ رسول الله ﷺ. فوقع في نفسي مما قالوه شدّةٌ حتى أنزل الله تصديقي: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ**﴾[٦٧] ثم دعاهم النبي ﷺ ليستغفر لهم فلوَّوا رؤوسهم[٦٨].

---

(٦٥) أخرجه البخاري كتاب الأنبياء باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، حديث رقم: ٣١٥١، ٣/١٢١١.

(٦٦) سورة المنافقون، الآية (٧-٨).

(٦٧) سورة المنافقون، الآية (١).

(٦٨) أخرجه البخاري كتاب التفسير باب ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ**﴾، رقم: ٤٦٢٠، ج٤ ص١٨٦٠، ومسلم في كتاب صفات المنافقين، رقم: ٢٧٧٢، ج٤ ص٢١٤٠.

وتروي كتب السير أنه لما تحدّث الناس بهذا الحديث وكثر فيه الأخذ والرد أمر رسول الله ﷺ الناس أن يجدُّوا في السير إلى المدينة، وهم قافلون من غزوة بني المصطلق، خشية أن يتفاقم الأمر.

٤ -٢- انتقاء الألفاظ المناسبة في الحوار :

كانت ألفاظ رسول الله ﷺ منتقاةً، لا يصدر منه ما يُسيء للآخر، ويأمر بالكلمة الطيبة ويحث عليها أصحابه وينهَى عن الفحش وسقط الكلام، لا يواجه أحدًا بما يكره. كان هذا حاله مع أهله وخدمه وأصحابه وكذا مع الكفار من اليهود والمشركين. بل كان لا يزيده الجهل عليه إلا حلمًا وصفحًا.

قال أنس بن مالك خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي أفٍّ قَط، وما قال لشيء فعلتُه لم فَعَلْتَه ولا لشيء تركته لم تركته[٦٩]، وفي رواية يقول لكن قدر الله وما شاء فعل، وكان يتجنب الألفاظ التي يفهم منها الإساءة إلى الآخر بأي شكل من الأشكال، فإن وجد على بعض أصحابه في أمر يكرهه يكتفي بالتلميح والإشارة والتّعْريض دون ذكر الاسم، فيقول ما بال أقوام يفعلون كذا، ويلقب أصحابه بأحب أسمائهم إليهم، وينهى عن التَنابُز بالألقاب أو الصفات التي تُسيء إليهم، من ذلك قوله ﷺ لأبي ذر حين دعا بلالاً بابن السوداء، قال يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية... الحديث[٧٠]، كما قال: (لا يقل أحدكم عبدي أمتي وليقل فتاي وفتاتي)[٧١]. بل كان يغير أسماء الأعيان التي تلمح أو تدل على معنى مستقبح أو مستوحش إلى أسماء تدل على الخير والتَفاؤل به، من ذلك تغييره لاسم بئر بيسان إلى نُعمان... الخ، والأمثلة على ذلك كثيرة.

---

(٦٩) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء، رقم: ٥٦٩١، ج٥/٢٢٤٤، ومسلم كتاب الفضائل باب "كان رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقًا"، رقم: ٢٣٠٩، ج٤/١٨٠٤.

(٧٠) أخرجه البخاري كتاب الإيمان باب المعاصي من أمر الجاهلية، رقم: ٣٠، ١/٢٠، ومسلم كتاب الإيمان باب إطعام المملوك مما يأكل، رقم: ١٦٦١، ج٣/١٢٨٢.

(٧١) أخرجه البخاري كتاب العتق باب كراهية التطاول على الرقيق، رقم: ٢٤١٤، ٢/٩٠١ ومسلم كتاب الألفاظ من الأدب باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة، رقم: ٢٢٤٩، ج٤/١٧٦٤.

وقد عقد ابن القيم فصلاً في كتابه زاد المعاد تحت عنوان "فصل في حفظ المنطق واختيار الألفاظ"(٧٢).

وحواراته ﷺ لم تخرج عن هذا النهج، وقد تجلَّى فيها كرم أخلاقه وعفة لسانه، مع من جهلوا عليه وأغروا به صبيانهم فآذوه وسبُّوه ورموه بالحجارة حتى أدموا كعبه الشريف فلم يزد على أن دفع بالتي هي أحسن فدعا لهم بقوله: "اللهم اهد ثقيفًا"(٧٣)، وقوله: "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون"(٧٤).

ويمكن التَّعرف على هديه ﷺ في انتقاء أطيب الكلام في الأحاديث التالية:

تقول عائشة رضي الله عنها إن اليهود أتوا النبي ﷺ فقالوا: السام عليك (أي عليكم الموت) قال وعليكم فقالت عائشة: السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال رسول الله: مهلاً يا عائشة عَليك بالرِّفق وإياك والعنف أو الفحش. قالت أو لم تسمع ما قالوا قال أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم فيستجابُ لي فيهم ولا يستجابُ لهم في(٧٥).

فانظر كيف واجه فحشهم وسبهم بكلمة "وعليكم" التي لا يدل ظاهرها على أي نوع من أنواع الإساءة فضلاً عن البذاءة، ثم بدأ بتوجيه عائشة حين ردت عليهم بمثل كلامهم بالتهدئة واللطف والرفق، ثم نهاها عن العنف والفُحش، فإنه ليس من شيم الكرام من أهل بيت النبوءة، ونبهها بأسلوب جزل راقٍ أن ردّه الموجز "وعليكم" فيه كفاية إذ لم يرفث ولم يشتم، وأنه بذلك سيستجاب له فيهم دون أن يستجاب لهم فيه. ونلاحظ أن النبي ﷺ ينتقي الألفاظ الطيبة في أحرج الأوقات وأشدها عليه، حين تتأزم الأوضاع وتشتد الأزمات.

---

(٧٢) راجع زاد المعاد لابن القيم ج٢ ص٣٥٢.

(٧٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند، رقم: ١٤٧٤٣، ج٣ ص٣٤٣ وابن أبي شيبة في المصنف، باب ما جاء في ثقيف، حديث رقم: ٣٢٤٩٦، ٦/٤١٣.

(٧٤) أخرجه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ١٠/١٤.

(٧٥) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب الرفق في الأمر كله، رقم: ٥٦٧٨، ٥/٢٢٤٢، ومسلم كتاب السّلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسّلام، رقم: ٢١٦٥، ٤/١٧٠٧.

فحين فتح مكة وانتظر أهل مكة منه الانتقام والأخذ بحقه بعد أن أخرجوه وآذوه وكادوا له في أكثر من مناسبة بدءًا بمحاصرته في شعب بني هاشم بمكة مدة ثلاث سنوات رجاء صدِّه عن الدعوة،

ثم محاولة اغتياله حين الهجرة، ومحاولة كسر شوكة الإسلام في غزوات بدر وأُحد وغيرها، وانتهاءً بمحاصرته وتأليب قوى الشرِّ عليه يوم الأحزاب لاستئصال شأفة المسلمين والقضاء عليهم. في هذه الأوقات الحرجة والأزمات المشتدة تضاعفت الرحمة في قلبه رحمة بأمته وإشفاقًا على الكفار من سوء المصير.

فقد تحدث بعض النّاس يوم فتح مكة قائلين "اليوم يوم الملحمة" فسارع ﷺ إلى قلب هذه الملحمة رحمة حين قال "اليوم يوم المرحمة".

وحين جاءه كفّار مكة ممن كانت جرائمهم في حقه عديدة ومتنوّعة، فقال لهم – بعد أن استولى على مكة وانتصر الحقُّ وخافتْ قريش من التنكيل بها – ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا أخٌ كريم وابن أخ كريم، قال اذهبوا فأنتم الطلقاء[٧٦].

وحين قال له عبد الله بن أُبي ﴿لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾[٧٧]. وبلغه ذلك عنه لم يرد الانتقام لنفسه ولكن صبر وأمر الناس بالرحيل مخافة التصعيد لما جاءه عبد الله بن عبد الله بن أُبي فقال له إن شئت أتيتك برأسه فرد عليه قائلاً: لا تفعل حتى لا يتحدَّثُ الناسُ أن محمدًا يقتل أصحابه[٧٨].

وقصة إسلام زيد بن سعنة تمثل أروع مثال لحلمه ﷺ، قال زيد بن سعنة – وكان من أجل أحبار اليهود – لم يبق من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرُهما (أي لم أمتحنهما) يسبق حلمه جهله ولا يزيدهُ شدة الجهل إلا حلمًا فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه وجهله، فابتعت منه تمرًا إلى أجل فأعطيته التمر فلما كان قبيل مَحِل الأجل بيومين أو ثلاثة أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه

---

(٧٦) أخرجه البيهقي باب فتح مكة حرسها الله، حديث رقم: ١٨٠٥٥، ٩/١١٨.

(٧٧) سورة المنافقون، الآية (٨).

(٧٨) تقدم الحديث قريبًا. انظره في البخاري ٤/١٨١٦ ومسلم ٤/٢١٤٠.

ونظرت إليه بوجه غليظ ثم قلت: ألا تقضيني يا محمد حقي فوالله إنكم يا بني عبد المطلب لُمْطُلٌ فقال عمر: أي عدوَّ الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع فوالله لولا ما أحاذر قربه لضربت بالسيف رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة، وتبسم ثم قال "أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي، اذهب فاقضه وزده عشرين صاعًا مكان منازعته"، وفي رواية أخرى "مكان ما روَّعته" فقلت يا عمر علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ إلا اثنتين لم أخبرُهما يسبق حلمُه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلمًا فقد خبرُتهما أشهد أني رضيت بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا(٧٩).

كما روى أبو داود أن أعرابيًا جبذه بردائه حتى أثر في رقبته الشريفة لخشونة الرداء وهو يقول: احمل على بعيريَّ هذين أي حَمّلهما لي طعامًا فإنّك لا تحملني من مالك ولا مال أبيك فقال ﷺ: " لا وأستغفر الله ثلاث مرات لا أحملك حتى تقيدني (تعطيني القَودَ وهو القصاص) من جبذتك " فقال لا والله لا أقيدكها، ثم دعا رجلاً فقال له: احمل له على بعيريه هذين، على بعير تمرًا، وعلى الآخر شعيرًا. وفي رواية أنّه لما جبذه تلك الجبذة الشديدة التفت إليه وضحك ثم أمر له بعطاء(٨٠).

فانظر إلى هذه الصور من الدفع باللتي هي أحسن، فكلما ازداد الأعرابي جهلا ازداد رسول الله حلما وعفوا، بل وبشرا وعطاء، فهو لا يكافئ السيئة بمثلها بل بالحسنة، ويبسط بِشْره وعطاءه حتى في حق من أساء إليه.

فإذا كان هذا دأب رسول الله ﷺ في التخاطب مع من يجهلون عليه وينالون منه فلا تسأل عن رفقه ولين كلامه وبسط بشره وحسن عشرته وخُلْطته بين أصحابه وأهله، فذاك أمرٌ بادٍ للعيان تغصُّ به كتُبُ السير والشمائل وكتب القوم والرقائق.

---

(٧٩) رواه المقدسي في الأحاديث المختارة ٤٤٨/٩، ورواه الطبراني في المعجم الكبير في ترجمة زيد بن سُعنة، رقم: ٥١٤٧، ٢٢٢/٥.

(٨٠) أخرجه النسائي في السنن الكبرى باب القود من الجبذة، رقم: ٦٩٧٨، ٢٢٧/٤ وأبو داوود بإسناد حسن في السنن، كتاب الأدب باب في الحلم وأخلاق النبي ﷺ، رقم: ٤٧٧٥، ٢٤٧/٤.

٤ -٣- الإنصات :

دعا الشرع إلى الإنصات ورغّب فيه في آيات كثيرة وأحاديث عديدة وحثّ على ضبط اللسان وحفظه من اللغط واللغو فضلاً عن الفحش وسقط الكلام، فقال جل ذكره: ﴿**لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ**﴾[٨١]. وقوله تعالى: ﴿**وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً**﴾[٨٢]. وقوله تعالى: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[٨٣]. والآيات في هذا المعنى كثيرة، والأحاديث التي تدعو إلى السكوت والإنصات وعدم الكلام إلا لضرورة شهيرة من ذلك قوله ﷺ (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت)[٨٤]. (والكلمة الطيبة صدقة)[٨٥]. و (هل يكب الناسَ على مناخرهم إلا حصائدُ ألسنتهم)[٨٦]. وقالت عائشة رضي الله عنها " لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخّابًا في الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو و يصفح "[٨٧].

وقال: (إني لم أُبْعث لعَّانًا ولكن بعثت رحمة، اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون)[٨٨].

وحين نتحدّث عن الإنصات في هذا المقام، لا نعني به السكوت، وإنما نقصد حسن الإصغاء وحسن الرّدّ، وضبط اللسان، وإنصاف الخصم، ومنحه هامشا ومساحة من الحرية في الرد وعدم مصادرة رأيه إلخ ... وانتقاء الكلمة المناسبة في

---

(٨١) سورة النساء، الآية (١٤٨).

(٨٢) سورة البقرة، الآية (٨٣).

(٨٣) سورة فصلت، الآية (٣٤).

(٨٤) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، رقم: ٥٦٧٢، ٥/٢٢٤٠، ومسلم كتاب الإيمان باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت...، رقم: ٤٧، ١/٦٨.

(٨٥) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب طيب الكلام، رقم: ٣٤، ٥/٢٢٤١.

(٨٦) أخرجه الترمذي كتاب الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم: ٢٦١٦، ٥/١١ وابن ماجة كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة، رقم: ٣٩٧٣، ٢/١٣١٤.

(٨٧) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في خلق النبي ﷺ، رقم ٢٠١٦، ٤/٣٦٩ والإمام أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة، رقم: ٨٣٣٤، ٢/٣٢٨.

(٨٨) الحديث أخرجناه من مصدره موثّقًا قبل قليل.

الوقت المناسب والظرف المناسب، وذلك أمر يختلف باختلاف المقامات، فكم من كلمة تستحسن في مقام وتستقبح في آخر ، ومردّ كل ذلك ومناطه إلى موضوع الحوار وطرفيه وطريقته.

ويمكن أن نسوق جملة من إنصاتاته ﷺ فيما يلي:

فمن هديه ﷺ الإنصاتُ واحترامُ الرأي الآخر ولو كان عدوًّا معاندًا أو خصمًا مخالفًا أو سائلاً مستفهمًا أو صحابيًا أشكل عليه شيءٌ من أمر دينه. وقد اختلفَتْ أوجه هذا الإنصات وتنوعت صوره، فربما أعقبه ابتسام وربما تعليق موجز وربما سكوت عن السائل مرة أو مرتين دون رد عليه. وقد يكون توجيه أسئلة استنكارية، وربما باعتذار لطيف يستعطف به المحاور، كل ذلك حسبما يقتضيه المقام وحسن الرّد. غير أنّه لا يقْطع على أحد حديثه حتى يجوز (يتجاوز الحق) فيقطعه بنهي أو قيام، كما في وصف هند بن أبي هالة[٨٩]، بل كان أكثر من ذلك يعطي كل جلسائه نصيبه، فلا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه[٩٠].

وإن جالسه أحد أو قاومه (**أي قام معه**) في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف[٩١]. وهذا نوع من الإنصات الفعلي حيث لا يبدأ مُجَالِسَه بالانصراف.

غير أن ما يهمنا في هذا المقام هو تقصي بعض إنصاتاته ﷺ لمن يكلمه أو يحاوره. ومن حسن إنصاته ما رواه أبو داود، والترمذي عن أنس والبزّار عن أبي هريرة قال: ما التقم أحد أذن رسول الله ﷺ فنَحَّى رأسَه عنه حتى يكون الرجل هو الذي يُنَحِّي رأسَه وما أخذ بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر[٩٢].

ومن صُور حسن إنصاته مُرَاضاته لخصمه أكثر من مرة رغم جهل الخصم عليه، من ذلك ما روته عائشة أن رسول الله ﷺ ابتاع من رجل من الأعراب جزورًا بوسق من تمر الذخرة (وهو العجوة) فرجع به رسول الله ﷺ إلى بيته والتمس له التمر فلم يجده، فخرج

---

(٨٩) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير في "من اسمه هند"، رقم: ٤١٤، ج١٥٨/٢٢.

(٩٠) نفس المصدر نفس الرقم نفس الصفحة.

(٩١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير نفس الرقم ج١٥٨/٢٢.

(٩٢) أخرجه أبو داود في باب حسن العشرة رقم ٤٧٩٤، ٢٥١/٤ والهيثمي في مورد الظمآن ص٥٢٤.

إليه رسول الله ﷺ فقال له يا عبد الله إنا قد ابتعنا منك جزورًا أو جزائر بوسق من تمر الذخرة فالتمسناه فلم نجده فقال الأعرابي واغدراه فنهمه الناس وقالوا: قاتلك الله أيغدر رسول الله ﷺ؟ فقال رسول الله ﷺ: دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً. ثم عاد له رسول الله ﷺ فقال يا عبد الله إنا ابتعنا منك جزائرك ونحن نظن أن عندنا ما سمينا لك فالتمسناه فلم نجده فقال الأعرابي واغدراه فنهمه الناس وقالوا قاتلك الله أيغدر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ دعوه فإن لصاحب الحقِّ مقالاً. فردد ذلك رسول الله ﷺ مرتين أو ثلاثًا. فلما رآه لا يفقه عنه أسلف له وسقا من تمر الذخرة من خُوَيْلَة بنت حكيم بن أمية فقال لرجُل من أصحابه اذهب به فأوفه الذي له، قال فذهب فأوفاه الذي له. فمر الأعرابي برسول الله ﷺ وهو جالس في أصحابه فقال: جزاك الله خيرًا فقد أوفيت وأطْيَبْتَ فقال رسول الله ﷺ أولئك خيارُ عباد الله عند الله يوم القيامة الموفون المُطيبون(٩٣).

ومن ذلك أيضًا ما كان يستخدمه من استفهام تقريري يردده على فتى شاب جاء يطلب الإذن بالزنا، فقال يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فسأله النبي ﷺ: هل تحبه لأمك؟ هل تحبه لبناتك؟ هل تحبه لأخواتك ؟ هل تحبه لعماتك ؟ هل تحبه لخالاتك ؟ في كل ذلك يقول لا. حتى أوصله النبي ﷺ للحكم الشرعي بواسطة الاستنتاج العقلي، فختم له النبي ﷺ بقوله: ولا الناس يحبونه لهن (أي البنات والأخوات والعمّات والخالات) ثم دعا له بقوله اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه. فلم يكن بعدُ ذلك الفتى يلتفت إلى شيء(٩٤).

وتتجلى أروع صور الإنصات (أي حسن الرد على الطرف الآخر) في المحاورة التي دارت بين النبي ﷺ وبين رجل جاءه مذنبًا يرجو الاستغفار له وتطهيره من ذنبه، فكانت النتيجة أن رجع مغفور الذنب يحمل كفارة ذنبه ليطعمها أهله، فجمع له بين الثمن والمثمون يقول أبو هريرة رضي الله عنه بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال يا رسول الله هلكتُ قال ما لك؟ قال وقعت على امرأتي وأنا صائم فقال رسول الله ﷺ هل تجد رقبة

---

(٩٣) رواه أحمد في المسند، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، رقم: ٢٦٣٥٥، ٦/٢٦٨، وقال في مجمع الزوائد ٤/١٤٠ "رواه أحمد والبزّار وإسناد أحمد صحيح".

(٩٤) رواه أحمد في المسند، حديث أبي أمامة الباهلي، رقم: ٢٢٢٦٥، ٥/٢٥٦.

تعتقها؟ قال لا. قال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين قال لا، فقال فهل تجد إطعام ستين مسكينًا قال لا. فمكث النبي ﷺ، فبينا نحن على ذلك أُتي النبي ﷺ بعرق فيها تمر (والعرق المكتل). قال أين السائل ؟ فقال أنا، قال خذها فتصدق به، فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله فوالله ما بين لا بيتها (يريد الحرتين) أهلُ بيت أفقرُ من أهل بيتي. فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال أطعمه أهلك[٩٥].

ومن أمثلة حُسْن الإنصات حواراته ﷺ في صلح الحديبية[٩٦].

والأمثلة على حسن إنصاته ﷺ كثيرة لا يمكن استقصاؤها، وإنما اجتزأنا طرفًا منها ليطَّلع القارىء على ما كان يتحلى به من إنصاف للخصم لا نظير له في تاريخ الحوارات المسطورة في كتب التاريخ، فلو احتُذيت أساليبه في الحوار لحُلَّت نزاعات كثيرةٌ ولأنْعمتْ البشرية بسلام واستقرار دائمين إلى يوم الدّين.

٥ - أدب الحوار عند الصحابة والسلف الصالح

كان العرب حتى في جاهليتهم يعرفون للذمة حقها، وللجار والرحم عهدٌ وحقٌّ وإن كانا مخالفين في العقيدة، يتَمثَّل هذا الخلق الكريم في قصة عبد الله بن أبي ربيعة لما أرسلته قريش مع عمرو بن العاص رضي الله عنه – وكانا آنذاك على دين قريش – أرسلتهما إلى النجاشي ليُفسدا قلبه على من هاجر إليه من الصحابة.

قال عمرو بن العاص لابن أبي ربيعة في أحد مواقفه " لأُنبِّئَنَّهم غدًا للنجاشي وأصحابه – عيبهم عندهم – أي عيب المسلمين عند النجاشي وأصحابه – ثم أستأصل خُضْرَاءَهُمْ ! فقال له ابن أبي ربيعة – وكانَ أخا أبي جهل لأمه – لا تفعل فإن لهم أرحامًا، وإن كانوا قد خالفونا[٩٧].

---

(٩٥) رواه البخاري في صحيحه باب إذا جامع في رمضان، رقم ١٨٣٤، ٢/٦٨٤.

(٩٦) أخرج البخاري حديث صلح الحديبية في ثلاثة عشر موضعًا منها كتاب الجزية والموادعة رقم: ٢٥٢٩، وكتاب الصلح ٢/٩٥٢.

(٩٧) مسند الإمام أحمد، حديث جعفر بن أبي طالب، رقم: ١٧٤٠، ١/٢٠٢، ٥/٢٩١.

٥ - ١ - عند الصحابة :

كان الصحابة على هدي رسول الله ﷺ في تعاملهم وتخاطبهم وتحاورهم لا يقدمون بين يديه ولا يخالفون أمره، فإن تنازعوا في شيء ردوه إلى الله ورسوله، لا يجدون في أنفسهم حرجًا مما قضى رسول الله، كأنما هواهم تبعًا لما جاء به ﷺ.

وتاريخ الصحابة ومن سار على هديهم يؤكد تمسكهم بالعدل في قضاياهم ولو في التعامل مع من دونهم، قريبًا كان أم بعيدًا، قويًا أم ضعيفًا، مسلمًا أم غيره، والأمثلة على ذلك كثيرة. ونشير في هذا السّيَاق إلى قصة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع خصمه الكتابي أمام قاضيه شريح، عندما وجد عليٌ درعه عند رجل من أهل الكتاب، فأقْبل به إلى شريح يخاصمه مخاصمة رجل من عامة رعاياه، وقال إنها درعي، ولم أبع ولم أهب. فسأل شريحٌ الرجل: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟ قال: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب. فالتفت شريح إلى علي يسأله: يا أمير المؤمنين هل من بينة ؟ فضحك علي وقال: أصاب شريح، ما لي بيِّنة، فقضى بالدرع للرجل فأخذها ومشى، وأمير المؤمنين ينظر إليه. إلا أن الرجل لم يخطُ خطوات حتى عاد ليقول: أمّا أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء... أمير المؤمنين يدينني إلى قاضيه فيقضي عليه، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين، اتبعت الجيش وأنت منطلق من صفين فخرجت من بعيرك الأورق، فقال عليّ رضي الله عنه أما إذ أسلمت فهي لك[٩٨].

وفي هذا السِّياق تأتي قصة اعتداء ابن عمرو بن العاص - والي مصر - على الغلام القبطي الذي فاز عليه بسباق الخيل، فضربه ابن عمرو قائلاً له: خذها وأنا ابن الأكرمين فغضب والد الغلام القبطي، لما لم ينصفه عمرو من ابنه، وسافر من مصر إلى المدينة، ورفع أمره إلى عمر رضي الله عنه، فما كان من عمر إلا أن كتب إلى عمرو - واليه على مصر - يستدعيه مع ابنه، ولما حضرا، عقد لهما عمر محاكمة تولاها بنفسه، وعندما تأكَّد له اعتداء ابن عمرو على الغلام القبطي أخذ عصاه وأعطاها للغلام قائلاً له: دونك الدرة اضرب ابن الأكرمين، فضربه حتى أثخنه، وقال للمصري: اجعلها على صلعة عمرو فوالله ما ضربك إلا بفضل

(٩٨) انظر البداية والنهاية، ابن كثير ٨/٨، وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/١٤٠.

سلطان أبيه، فقال يا أمير المؤمنين لقد ضربت من ضربني، فقال عمر: أما والله لو ضربته ما حُلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه، ثم قال قولته المشهورة مخاطبًا

عمرو بن العاص: متى استعبدتم النّاس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا، ثم قال للمصري: انصرف راشدًا، فإن رابك ريب فاكتب إليّ[٩٩].

٥ - ٢ - أدب الحوار عند التابعين ومن جاء بعدهم من السلف الصالح :

إذا تجاوزنا عهد الصحابة إلى من بعدهم نجد نماذج رائعة من الإنصاف والتخلُّق بآداب الخلاف.

من ذلك ما حكاه الذهبي في ترجمة يونس بن عبد الأعلى الصّدفي، تلميذ الشافعي قال (أي يونس المذكور) "ما رأيت أعقل من الشافعي ! ناظرتُه يومًا في مسألة ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي ثم قال يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة[١٠٠].

وقد كانوا ينظرون إلى الخلاف في المسائل الفرعية على أنه رحمة ويُسرٌ، يرفع المشقة عن الأمة ويوسع عليهم في أمر دينهم، فقد روي عن أسد بن الفرات قوله: "بلغني أن قومًا كانوا يتناظرون بالعراق في العلم، فقال قائل مَن هؤلاء ؟ فقيل قوم يقتسمون ميراث رسول الله ﷺ"[١٠١].

ومن جميل الإنصاف ما رواه أبو نعيم في الحلية: "سأل المأمون مالك بن أنس: ... قال له تعالَ معنا، فإني عزمت أن أحمل الناس على الموطَّأ كما حمل عثمانُ النّاس على القرآن، فقال له: ما لك إلى ذلك سبيلٌ، وذلك أن أصحاب النبي ﷺ افترقوا بعده في الأمصار فحدَّثوا، فعند كل أهل مصر علمٌ "[١٠٢].

---

(٩٩) راجع كنز العمّال (٣٦٠١) والسيوطي في جامع الأحاديث ٤٧١/٣٥.

(١٠٠) الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٦/١٠.

(١٠١) راجع ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ١٠٨/٢، مصورة الطبعة النبوية.

(١٠٢) أبو نعيم: حلية الأولياء ٣٣١/٦، والظاهر أنه وهم من أبي نعيم لأن مالكا توفي ١٧٩هـ، ولم يتول المأمون الخلافة إلا سنة ١٩٨هـ، وفي مرقاة المفاتيح ٦٦/١، و٢٧٣/٧ أن هارون الرشيد هو الذي قال لمالك "إني عزمت أن أحمل الناس ....."، وهو الصواب والله أعلم.

وكان الإنصاف والعدل أثرًا بارزًا من آثار التَّمسك بآداب الشرع، وثمرَةً من ثَمرات رسوخ قيم الإيمان في النفس، لذا لم يكن خُلقًا من أخلاق العلماء ولا شيمةً من شيمهم فحسب ولكنه سِمةٌ بارزة من سمات الخلفاء الراشدين ومن تمسك بهديهم من أمراء الدولة الإسلامية.

وفي النموذج الآتي مثالاً رائعًا للعدل والإنْصَاف، يمثل بصدق حال أمراء الدولة الإسلامية وما كانوا عليه من علم وحكمة ودراية بمقاصد الشريعة ومراميها: حكى القصة ابنُ قتيبة[١٠٣]، قال: (قال المأمون لمرتدٍّ إلى النصرانية، خبرِّنا عن الشيء الذي أوحشك من ديننا بعد أُنْسك به واستيحاشك مما كنت عليه، فإن وجدت عندنا دواءَ دائك تعالجت به، وإن أخطأ بك الشفاء ونبا عن دائك الدواء كنت قد أعْذَرتَ، ولم ترجع على نفسك بلائمة وإن قتلناك قتلناك بحكم الشريعة، وترجع أنت في نفسك إلى الاستبصار والثقة وتعلم أنك لم تقصِّر في اجتهادك ولم تفرِّط في الدخول من باب الحزم، قال المرتد: "أوحشني ما رأيت من كثرة الاختلاف فيكم!".

قال المأمون: لنا اختلافان أحدهما كالاختلاف في الأذان والتكبير في الجنائز والتشهُّد وصلاة الأعياد وتكبير التشريق ووجوه القراءات ووجوه الفتيا، وهذا ليس باختلاف، إنما هو تخيرٌ وسَعَة وتخفيف من المحنة، فمن أذَّن مثنى وأقام مثنى لم يخطِّيء من أذن مثنى وأقام فرادى، ولا يتعايرون بذلك ولا يتعاتبون والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا وتأويل الحديث، مع اجتماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عين الخَبر.

فإن كان الذي أوحشك هذا، حتى أنكرت هذا الكتاب، فقد ينبغي أن يكون اللفظ بجميع التوراة و الإنجيل متفَقًا على تأويله، كما يكون متفَقًا على تنزيله، ولا يكون بين جميع اليهود والنصارى اختلاف في شيء من التأويلات... ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه وورثة رسله لا يحتاج إلى تفسير لفعل، ولكنا لم نر شيئًا من الدين والدنيا دُفع إلينا على الكفاية، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة وذهبت المسابقة والمنافسة، ولم يكن تفاضُل، وليس على هذا بنى اللهُ الدُّنيا!.

(١٠٣) ابن قتيبة: عيون الأخبار " كتاب العلم والبيان – الرد على الملحدين ٢/١٥٤.

قال المرتد: أشهد أن لا إله إلا الله وأن المسيح عبدٌ وأن محمدًا صادق وأنك أمير المؤمنين حقًا.

فانظر إلى هذا الرجل كيف ساق الحجج بأسلوب سهل يعتمد العقل والمنطق سبيلاً إلى ردِّ هذا المارق عن دينه إليه مع إنصاف وتجرُّد من كل هوى أو عصبية، جعلت المرتد ينصاع ويحار من تمكن الرجل وقدرته على ردِّ الشبَه وتبيين الحق بالدليل الواضح والبرهان الساطع، متخذًا أسلوب المقارنة طريقًا إلى النفاذ إلى عقله ووجدانه، مبتعدًا عن تخطئة محاوِره أو تجريحه فضلاً عن تكفيره.

ولم يلجأ إلى أسلوب التعالي والتطاول الذي ينتهجه بعض المحاورين ممن ليس لهم زادٌ معرفي، تَعويضًا عن الحجة والبرهان، وقد فاتهم أن الحبال الصّوتية لا تقوم مقام الحجة والبرهان.

فاعْجَبْ لهذا الأمير المُلْهَم الحجة – على ما كان في عهده من أمور أُخذت عليه كمحنة خلق القرآن وما نجم عنها من سجن وضرب وقتل العلماء – فليت سائر المحاورين حذوا حذوه وسلكوا طريقه إذًا لثَابَ كثيرٌ من المارقين عن الدّين.

٦ - خاتمـــة

لقد استعرضنا في البحث ما أمكن استعراضه من آداب التَّخاطب ممثلاً في أنواع الحوار بين طرفين اختلفا في وجهة النظر، اتفقا عقيدة وديناً أم اختلفا.

وقد حاولنا تتبع بعض الحوارات النبويّة مع المسلم وغير المسلم محاولين استخلاص السّمات البارزة لهذه الحوارات، وما تحمل من بذور العدل والإنصاف واحترام الرأي الآخر، جَعلتْ أغلب من حاوره يقف حائرًا أمام هذا الأسلوب الراقي من محاورة المختلف فيدخل في الإسلام إن كان دافعُه طلب الحق.

كما حاولنا إلقاء الضوء على بعض حوارات سلف الأمة من صحابة وتابعين بغية توضيح أن الحوار من صميم الشريعة، والذين يرفضونه إنما ذلك لهوى في نفوسهم، أو لضعف عقيدتهم أو قلة زادهم العلمي وعدم مقدرتهم على مجابهة الآخر ومقارعته بالحجة والبرهان.

ومن خلال استقرائنا لآداب التّخاطب النبوي (أو الحوارات النبويّة) خرجنا بالملاحظات الآتية:

أولاً: أهداف الحوارات النبويّة:

يتمثل الهدف الأساسي من الحوار النبويّ في أن الحوار مطلب شرعيّ أكدت عليه الآيات القرآنية ودعت إليه وجعلته من أنجع الوسائل وأمثل الطرق لإقناع الآخر وإخراجه من ظلمات الوثنية والجهل إلى نور التّوحيد ومحجة الإسلام البيضاء. وقد حاور النبي ﷺ أصنافًا من النّاس، منهم المسلم العامي الذي جاء مُسائلاً عن أمر حَلَّ به، أو معصية قارفها أو معضلة مستعصية نزلت به، ومنهم الكتابي المكابر المعاند الذي جاء في صورة سائل مستفسرٍ، وحقيقة أمره أنه مختبر وممتحن لصدق نبوته ﷺ.

ومنهم المشرك الجافي الحاقد الذي جاء ليصب جام غضبه ثأرًا على مقام النبوة ونِقْمَة على ما خصّ به الرسول الكريم من أمر النبوة، يرى بعضهم - حسدًا - أن غيره أولى بها: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[١٠٤]. ولكن الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

ثانيًا: مستندات الحوار:

يستند الحوار في مشروعيته إلى ضوابط تضمن جدوائيته، إنْ احترم الطرفان أسس هذه الضوابط، وتتمثل في أنه يحق لكل من الطرفين التعبير عن رأيه بحرية دون وصاية أو مصادرة من جهة ولو كانت مقدسة، إذ قدسيتها تكمن في كونها تستند إلى أدلة شرعية، والشارع لم يشرع مصادرة الرأي، بل أكد أن اختلاف الناس سنة إلهية مقصودة: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[١٠٥] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾[١٠٦] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾[١٠٧]... الخ.

---

(١٠٤) سورة الزخرف، الآية (٣١).

(١٠٥) سورة هود، الآية (١١٨-١١٩).

(١٠٦) سورة النحل، الآية (٩٣).

(١٠٧) سورة السجدة، الآية (١٣).

والحوارات النبويّة تؤكد أن العلاقة بين المتحاورين (مسلمين كانا أو غيرهما) يجب أن يحكمها العدل واحترام الرأي الآخر، والبعد عن الأحكام المسبقة والأهواء والعصبيات الضيقة التي تمليها طبيعة النفس البشرية.

ثالثًا: مراعاة موضوع المحاورة:

كان النبي ﷺ – كما يستفاد من حواراته للمخالف – يتخذ أساليب مختلفة مع المحاور حسب موضوع المحاورة، فإن كان الأمر يتعلّق بالقضايا الخطيرة كدماء المسلمين والمصلحة العامّة أو العقيدة، كان جوابه حازمًا قاطعًا، يتسم بالشدة، لأنها خطوط حمراء وتعدٍّ لحدود الله، فكان يؤنب معاذًا على إطالته الصّلاة وهو يؤم النّاس، "أفتّانٌ أنت يا معاذ"؟ وينكر بشدة على أُسامة حين يشفع في حدٍّ من حدود الله " أتشفع في حدٍّ من حدود الله، إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها "؛ كما ينكر عليه بشدّة حين قتل رجلاً قال لا إله إلا الله.

بينما يحلم ويصفح حين يبول أعرابي في المسجد " لا تَزْرِموه "، أو حين يقترف صحابي ذنبًا صغيرًا لا يرقى إلى كبيرة، كتقبيل امرأة، فعالجه بقوله: "هل حضرت الصلاة معنا" إلى غير ذلك.

رابعًا: التيسير والتسامح ولو مع من تعدَّى الحدود:

كانت حواراته ﷺ تتسم بالأسلوب الهادئ والكلمة الطيبة ولو مع ألدِّ الأعداء، فكان يتجنب الكلام الفاحش والعبارات الساقطة حتى مع الكافرين المعاندين الذين لا تُرجى توبتهم في الظاهر، كقوله لثقيف حين طُلب الدعاء عليهم "اللهم اهد ثقيفًا وائت بهم مسلمين" وكقوله "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون"، وقوله "دعهم لعل الله يُخرج من أصلابهم من يُوحِّد الله"، وقوله لمن رفع عليه الصوت وأمره بالعدل " ويلك ومن يعدلُ إن لم أعدلْ قد خبتُ وخسِرتُ إن لم أعدل... الخ.

خامسًا: فوائد الحوار ومزاياه:

الحوار ضرورة بشرية لا غنى للفرد عنها، وهو أمارة قبول التعدد، ورفض الانكفاء على

الذات، ونبذ العزلة، فعَلى أساس الحوار الجادّ والهادف ينبني السلوك وتُنسج العلاقات بين شعوب العالم وتمتد جسور التواصل بين الفرد والمجتمع والأمة، لكن الحوار لا يكون له معنى إلا إذا احترُمَتْ ضوابطه وأزيحت عوائقه والتزمت آدابه.

وأولها أن يكون حوارًا متكافئًا يعطي لكلا الطرفين فرصًا متساوية، ويعترف بحتمية الخلاف في الرأي والمعتقد والتفكير بين البشر. فالمعادلة لها طرفان إما حِوار أو صِدامٌ، والرافض للحوار داعٍ إلى الصدام، فبالحوار الإيجابي تُكتشف المواهب وتصقل وتُنمَّى القدرات وتُهَذَّب، وتُبعد السلبيات ويُقضى على جيوب الهدم والتخريب.

ويمكن استخلاص بعض فوائد الحوار فيما يلي:

١ - يفترض في الحوار أن يكون نقدًا للذات قبل أن يكون نقدًا للآخر فالذي يتجرأ على نقد الآخر ولا يقبل نقد ذاته كالذي يعالج الناس من أمراض مهملاً نفسه، وهو أحوج ما يكون لعلاجها، ومن العار بل من الحماقة أن أرى بنفسي عيبًا ثم أهمله حتى يفتك بي، وإن الآخر أبصرُ بعيوبك منك، فهلا ناديت مع بعض الصالحين بقولهم "رحم الله امرأ أهدى إليَّ عيوبي". ومن نبَّهك على عيب فقد أعانك على التخلص منه، فلا تتقاصر في محاولة التخلص منه قبل أن يستفحل فيودي بك !!

٢ - سدُّ باب الحوار والإنغلاق على الذات والانطواء على النفس داءٌ عضال وآفة خطيرة تؤدي إلى تمزق المجتمع، فالحوار هو مُتنفَّس المجتمعات وفرصة لإبداء الرأي، ونوافذ للتهوية يلجأ إليها الشعب حين تتفاقم الأمور وتتأزم الأوضاع، وكل عائق أمام الحوار هو سد لنافذة من نوافذ الحريّة. فإذا لم تجد هذه الأفكار وهذه الحريات طريقها إلى الخروج عن طريق مسالك الحوار تراكمت وتزاحمت وخرجت على نحوٍ مخوفٍ وغير متوقع، وأدَّت إلى تَصدُّعاتٍ وتمزقات داخل الجماعات... والمجتمعات التي لا تتيح فرصًا جادة ومنابر حرة للحوارات تدفع ضريبة هذا الواقع غالية !

٣ - قبول الرأي الآخر هو دليل على البحث عن الحق، فقد تكون أنت المخطئ وهو المصيب، وهو دليل على الإنصاف وقبول التداول ومبدأ التناوب. والمنهج القرآني يحذر من مصادرة الرأي، ويدعو إلى العدل في القول والفعل، والآيات الدّالة على ذلك كثيرة، نحو ما حكاه الله تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ**

﴿جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ من رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾(١٠٨).

٤ – الحوار سنة نبويّة ظل النبي ﷺ يسعى لترسيخها ونشر ثقافتها والالتزام بآدابها وضوابطها من بداية البعثة، حين كان يعرض نفسه على القبائل في الطائف، وفي مكة حين التقى ببعض بطون الأنصار في بيعة العقبة، وانتهاء بمفاوضاته في صلح الحديبية حيث ألح على الصلح وتبادل الرسل والسفراء مع قريش حتى أبرم الصلح، ثم ختم بإرسال الرسل إلى الملوك كل ذلك كان حوارًا، فضلاً عن حواراته المباشرة مع أصناف النّاس ممَّنْ تقدم ذكرهم في ثنايا البحث. فالحوار إذًا هو رفض للعزلة والأنفاق المظلمة، ونبذٌ للانزواء إنه خروج إلى فضاءات النور، وتواصل مع الآخر رغبة في التعايش معه، والبحث عن القواسم المشتركة لتخطي حواجز الخلاف المقيت الذي يؤدي إلى التصادم.

والحمد لله أولاً وآخرًا

(١٠٨) سورة غافر، الآية (٢٨).

٧ - قائمة المصادر والمراجع

١) الأحاديث المختارة للمقدسي، تحقيق عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط:١ سنة ١٤١٠هـ.

٢) إحياء علوم الدين، الغزالي، ط: دار المعرفة، بيروت بلا تاريخ.

٣) الآداب الشرعيّة لأبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، ط: ١/١٤١٦هـ-١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

٤) الآداب الشرعية، محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعمر القيام، ط: الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٥) أدب الاختلاف في مسائل العلم والدين، محمد عوامة، ط: ١/ ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، دار البشائر، بيروت، لبنان.

٦) أدب الحوار والمناظرة، المستشار د. علي جريشة ط: ٢/ ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، مطبعة دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع.

٧) الاستيعاب لابن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، ط: ١/ دار الجيل، بيروت ١٤١٢/١هـ.

٨) الاعتصام للشاطبي/ المكتبة التجارية الكبرى، مصر بلا تاريخ.

٩) البداية والنهاية لابن كثير ط: ١/ ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، مطبعة دار أبي حيان، القاهرة - مصر.

١٠) البداية والنهاية لابن كثير ط: ١٤١٦/١هـ- ١٩٩٦م، مطبعة دار أبي حيّان - القاهرة.

١١) التحقيق في أحاديث الخلاف، تحقيق مسعد عبد الحميد السعدني، ط: دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ، الطبعة الأولى.

١٢) التعريفات، الجرجاني، ضبط محمد بن عبد الحكيم، ط: دار الكتاب اللبناني- بيروت ١٩٩١م.

١٣) التنبيه على سبب الخلاف بين العلماء، تأليف الإمام البطليوسي، بلا تاريخ ولا مكان طبعه.

١٤) التنكيل لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي، اليماني تح: محمد ناصر الدين الألباني وزهير الشاويش وعبد الرزاق حمزة، ط: ٢ المكتب الإسلامي - دمشق ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

١٥) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، دار الفكر بيروت، ط: ١/ ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٦) جامع الأحاديث المختارة للسيوطي، بلا دار طبعة ولا تاريخ.

١٧) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ط دار الكتب العلمية، بيروت، بلا تاريخ.

١٨) حلية الأولياء لأبي نعيم، ط: دار الكتاب العربي، بيروت، ط:٤/ ١٤٠٥هـ.

١٩) الحوار النبوي للمسلمين وغير المسلمين د. إسماعيل صيني، ط: ١/ ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م- الرياض - المملكة العربية السعودية.

٢٠) الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب، د. ماجد عبد السلام إبراهيم، ط: مكتبة المنار ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٢١) زاد المعاد لابن القيم، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ط: ١٤/ ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

٢٢) سنن أبي داود، ط: دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، بلا تاريخ.

٢٣) سنن البيهقي، تحقيق د. محمد رياض الرحمن الأعظمي، ط: دار المدينة المنورة، ط:١/ ١٤١٠هـ/ ١٩٩٨م.

٢٤) سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ.

٢٥) سنن النسائي الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق د. عبد الغَفَّار البنداري، د. سيد حسن، ط: ١/ ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٢٦) سير أعلام النبلاء للذهبي، إشراف وتحقيق شعيب الأرناؤوط وزملائه، ط: ١، مؤسسة الرسالة ١٤٠٩هـ.

٢٧) سيرة ابن هشام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط: ١، دار الجيل، بيروت ١٤١١هـ.

٢٨) صحيح البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ط: ٣/ ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، بيروت، لبنان.

٢٩) صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، بلا تاريخ.

٣٠) عيون الأخبار لابن قتيبة، طبعة مصورة، دار الكتب المصرية بلا تاريخ.

٣١) الفقيه والمتفقه، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تح: عادل بن يوسف الغرازي، ط: الثالثة ١٤٢٦هـ– دار ابن الجوزي – الدمّام – السعودية.

٣٢) قواعد ومنطلقات في أصول الحوار، د. عبد الله بن ضيف الله الزحيلي، ط١/ دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٣٣) كنز العمال، لعلاء الدين علي المتقي الهندي، تحقيق محمود عمر الدمياطي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٣٤) لسان العرب لابن منظور الإفريقي، (محمد بن مكرم) ط: دار صادر بيروت، لاط، لات.

٣٥) مجلة الأحمدية العدد ١٦/ محرم/١٤٢٥هـ/ دبي، دار البحوث والدراسات الإسلامية.

٣٦) المستدرك للحاكم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١/ ١٤١١هـ-١٩٩٥م.

٣٧) مسند الإمام أحمد، مؤسسة قرطبة – مصر بلا تاريخ.

٣٨) المصباح المضيء في كتب النبي ﷺ إلى كل عربي وعجمي لابن حديد الأنصاري.

٣٩) المصباح المنير، ط: المكتبة العلمية بيروت، بلا تاريخ.

٤٠) المعجم الأوسط للطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله، ط: دار الحرمين، القاهرة ١٤١٥هـ.

٤١) المعجم الفلسفي، بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، جميل صليبا، طبعة دار الكتاب اللبناني ١٨٧١.

٤٢) المعجم الكبير للطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط: ٢/ مكتبة الزهراء، الموصل، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٤٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار الحديث، القاهرة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٤٤) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محيي الدين أبو زكريا النووي، ط بيت الأفكار الدولية/ عمّان/ الأردن، الرياض، المملكة العربية السعودية بلا تاريخ طبعة.

Abstract

Dialogue In The Light Of The Sunnat. Regulations And Directions.

Dr. Shareef Ould Ahmad Mohammad

Dialogue has become a necessity in this global age where benefits are interconnected and the grouping of countries plentiful. At the same time, the idea of cooperation and unity among nations has spread out, and enmity and hatred have been rejected. Priorities are given to dialogue among people in spite of different ideas and religions. These people search for spiritual ideas in different culture and civilizations in order that forgiveness, cooperation and peaceful living spread among the people.

In the Law of God, the idea of forgiveness and justice is an ancient one, even in the most cruel situations in which a human being is facing death. This was mentioned in the Holy Qur'an: about Habeel when his brother Qabeel wanted to kill him due to jealousy. God accepted this from Habeel and not from Qabeel.Islamic Shariiat has implemented dialogue with others as was mentioned in the Holy Qur'an to be kind and lenient with the enemy, even the most ferocious one and in the old ages, for example Qoraish.

This research aims at clarifying the factors of dialogue in the rule of Sunnat in the light of Prophet Mohammad's (PBUH) dialogue with the Muslims and non-Muslims. Also, I tried to pinpoint the aims of Prophet's dialogue regarding its methods and purposes and tried to clarify the methods of the Sahabat dialogues in the call for Islam.

UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
COLLEGE OF ISLAMIC & ARABIC STUDIES

ACADEMIC REFEREED JOURNAL OF
ISLAMIC & ARABIC STUDIES COLLEGE

EDITOR IN-CHIEF
Prof. Saeed Al Ayoubi

EDITORIAL BOARD
Prof. Mohammad Hasan Abu Yahya
Prof. Hassan Al-Amrani
Dr. Al-Sharif Walad Ahmed
Dr. Al-Rifai Abdel Hafiz

ISSUE NO. 35
Jumada 2, 1429H - June 2008CE

ISSN 1607- 209X

This Journal is listed in the **"Ulrich's International Periodicals Directory"**
under record No. **157016**

e-mail: iascm@emirates.net.ae

United Arab Emirates
Dubai

ISSN 1607-209X

ISLAMIC & ARABIC STUDIES COLLEGE MAGAZINE

Academic Refereed Journal

ISSUE NO. 35
Jumada 2, 1429H - June 2008CE

E-mail: iascm@emirates.net.ae